مجلة
روايات أحلام

liilas.com
rayqh

الأبيض والأسود

liilas.com
rayqh

مجلة روايات أحلام

الأبيض والأسود

ويلو ابنة ممثل مشهور تحلم به النساء ولهذا تعرف جيداً أي نوع من الرجال هو كالمر ديكستر: رجل ساحر يقتنص قلوب النساء ويوقع بهن ثم يدير ظهره دون كلمة وداع. ولأنها تكره هذا النوع، أصبح كالمر عدواً لها منذ اللقاء الأول.

لكن كالمر الكاتب المسرحي كان صياداً من نوع آخر، ولم تدرك ويلو ماذا يريد منها إلا بعد أن تسلل من خلف دفاعاتها ليزيح الستار عن الفتاة الهشة الظمأى للحب التي تختبىء وراء مظهرها العدواني.

ما اكتشفته عنه كان كافياً بالنسبة لها كي تخرجه من حياتها إلى الأبد، ولكن قلبها رفض أن يعترف بالوقائع، وظل يدق في الاتجاه المعاكس...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١.٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

liilas
rayqh

١ ـ الوجه البشع للجمال

تمتمت مارشا وهي تهرول مع ويلو في ممرات مطار هيثرو.

ـ لن أتغلب على الأمر.

ردت ويلو: «بل ستتغلبين». فهي تعلم أن مارشا تتغلب دائماً على أي مشكلة.

ـ إنه قذر.. كدتُ أموت!

ـ لا يستحق حتى التفكير فيه. انسيه.

ترجلتا من الباص تشقان طريقهما بين عاصفة مشبعة بالريح والمطر لترتقيا درج الطائرة.. ردت مارشا معوّلة:

ـ ليتني متُّ ودفنت.

ـ وليت المطر يتوقف!

راقبت ويلو قبعة امرأة تطير فوق أرض المطار المعبدة وسمعت صاحبتها تصيح «قبعتي! قبعتي!» فلم تتمالك إلا أن تتمتم ساخرة:

ـ مملكة في سبيل قبعتي!

تلقت من صاحبة القبعة نظرة دهشة خالية من المرح وهذا ما فعلته أيضاً مارشا التي راحت تحدق إلى ويلو بعينين دهشتين، فهي لم تكن حتى قد لاحظت طيران القبعة فوق أرض المطار الغارقة بالمطر، لذا وجدت ما قالته ويلو محيّراً. فسألتها وهما تتجهان إلى مقعديهما في الطائرة:

ـ عمَّ تتحدثين؟

وضعت مارشا معطفها الواقي من المطر وحقيبة يدها الصغيرة على الرف العلوي، ثم راحت تراقب ويلو وهي تحذو حذوها متمّة الحديث الذي يستحوذ على تفكيرها. قلب مارشا محطم وويلو آسفة على ذلك، مع أن تعاطفها يشوبه بعض التوتر وهذا التوتر يبعثه تحليق الطائرة في أجواء إيطاليا بعيداً عن الأرض. لم تكن تفكر في تحطم قلب مارشا إلى درجة الغوص في الأسى معها، ولكنها ليست واثقة كم ستتمكن من تحمّل نواح مارشا وعويلها. حينما حملت لهما المضيفة الطعام، هزت مارشا رأسها بقرف وكأنها تشمئز من التفكير في شيء بدائي دنيوي كالطعام، وقد رفضته ويلو أيضاً مبتسمة، فمن جهة أرادت مؤاساة مارشا ومن جهة أخرى تريد الحفاظ على الحمية التي تتبعها، لكنهما قبلتا القهوة المرّة ثم راحت مارشا تدخن سيكارة، مضيّقة عينيها بعض الشيء لترى ويلو من خلال الدخان. كانت طوال الوقت مستمرة في الحديث عن الرجل المتزوج الذي لم يخبرها بأنه متزوج، وهذا إهمال صححته زوجته في النهاية بظهورها على عتبة باب مارشا في أحد الأيام مع أطفاله الثلاثة حاملة معها كلاماً جارحاً عن مهدمات البيوت من النساء اللاتي لا حياء لهن. كان ذلك صدمة هائلة على مارشا، فقد كانت حتى تلك اللحظة تقول لويلو إنها غير واثقة من إعجابها ببيلي الذي ربما أعجبت به قليلاً ولكن، هل هو إعجاب حقيقي؟ حطم رجوع بيلي فجأة وقصراً إلى منزله الزوجي قلب مارشا، فبعد انتزاعه منها أصبح مرغوباً فجأة على ما يبدو، قالت مارشا بصوت أجش من جرّاء الشكوى المتصلة ساعات:

ـ لم أشك في هذا قط.. أتعلمين.. كنت غبية عمياء.

نظرت ويلو إلى خارج النافذة وقالت:

ـ ستحطّ الطائرة.

ولامست الطائرة أرض مطار فلورنسا.

بقيت مارشا مصرّة على متابعة الحديث حتى أثناء استئجارهما سيارة تقلّهما إلى الڤيلا التي أعارهما إياها شقيق ويلو:

ـ لكنه لم يكن يبدو متزوجاً.

ـ لا أدري.. كان لعينيه نظرات متقلبة.

ـ أجل.. أليس كذلك؟ وبالمناسبة، كانت عيناه شديدتي القرب من بعضهما بعضاً.

ـ وكان أنفه كبيراً، وأذناه غريبتين بشعتين.

فكرت مارشا قليلاً:

ـ ضخمتين!

ـ كان يبدو صورة نحيلة عن الدب دامبو.

لم يعجب بيلي ويلو يوماً، وازدادت كراهيتها له بعدما عانت من نحيب مارشا وتحطم قلبها ساعات. قالت مارشا مع قليل من الحبور:

ـ سأنساه وأتمتع بوقتي.

نظرت من نافذة السيارة إلى الخارج حيث الاخضرار الساحر. وسألت:

ـ كم من الوقت بقي لدينا حتى نصل إلى الڤيلا؟

ـ بضعة أميال.. إنها في ضواحي فلورنسا وحولها أراضي ريفية رائعة تخطف الأنفاس.

ـ ما أروع أخاك لأنه أعارنا الڤيلا! هل يقصدها دائماً؟ إنه مشغول دائماً وما كنت أظنه بحاجة إلى منزل للعطلة.

ـ تقضي جينفر والأولاد الصيف هنا، ويحضر دايف من وقت إلى آخر. لكنه عادة يؤجرها حين لا يريد استخدامها.. أظنه يعتبرها عامل استثمار أكثر من أي شيء آخر. فيها بركة سباحة، وهي كبيرة

جداً، وينقاضى عليها أجراً مرتفعاً في الموسم.

ابتسمت في وجه صديقتها وتابعت:

ـ لا تقلقي.. لن يأخذ منا شيئاً.. قلت لك إن من استأجرها فترة اسبوعين اضطرّ إلى إلغاء العقد. أراد دايف إعادة ديكورها أثناء خلوّها من أحد، لكن حينما قلت له إنني أرغب في عطلة عرض عليّ استخدامها على أن يغيّر الديكور حين نتركها.

ـ إنه في كل الأحوال رائع.

راحت إطارات السيارة تُحدث أصواتاً أثناء اجتيازها منعطفاً حاداً. في الواقع لم تشاهدا أثناء الرحلة إلا بضعة منازل بيضاء منتشرة وكنيسة ونصباً تذكارياً للحرب ومقهى كانت الأنوار فيه تضاء وتطفأ، لكن مارشا لاحظت متجراً فلمعت عيناها.

ـ أكاد أموت جوعاً. ألا يجب أن نتوقف لنشتري طعاماً؟

لم تكن قد تناولت طعاماً منذ ظهور زوجة بيلي على عتبة دارها وطلبها هذا إشارة إلى عودة الحياة إليها، فابتسمت ويلو لأنها وجدت أن مآسي مارشا لا تدوم طويلاً. قالت ويلو:

ـ لست واثقة مما يوجد في الڤيلا.. سننتظر لنرى. إن دايف عادة يتأكد من وجود بعض الأطعمة الأساسية كالمعلبات والأرز والسباغيتي والمعجنات وإنما يتركها للطوارىء، فقد يجد المحال التجارية مقفلة، وهذا كثيراً ما يحدث في إيطاليا فقد لا تجدين بين موعد غداء السبت وموعد غداء الاثنين محلات كثيرة فاتحة أبوابها. إنهم يعيرون عطلة الاسبوع أهمية كبيرة. إنما لا تقلقي، هناك محل مفيد قرب الڤيلا سنحصل منه على ما نريد.

كانت ويلو قد زارت الڤيلا في الربيع مربية لأولاد أخيها الثلاثة وذلك حينما ذهب وزوجته في رحلة بحرية إلى السويد، فقد أجرت جنيڤر عملية جراحية بسيطة، واحتاجت إلى فترة نقاهة بعيداً عن

أولادها المفعمين بالحيوية.. إنها أم محبة، لكنها مشوشة قليلاً، لا تستطيع التعامل مع النشاط الفائق الذي يتمتع به أولادها. وقد حدث مراراً حينما ازدادت الأمور صعوبة عليها أن اتصلت صارخة تطلب العون من ويلو. فوالدة جنيڤر لا تحب الأطفال، ومنذ أن وقع بصرها على أول حفيد أبلغت ابنتها بهدوء أن لا تنتظر منها أن ترعى طفلاً، وهذا لم يدهش جنيڤر، فهي نفسها لم تكن ترى أبويها الثريين، غير المكترثين، وأمضت معظم سنواتها الأولى الثمانية عشر مع مربية، ثم في مدرسة داخلية.

فجأة سألت مارشا وكأن لا شيء يحتل تفكيرها سوى هذه المشكلة:

ـ وكيف سنتجول؟

ـ هناك سيارة مستأجرة بانتظارنا في كاراج القرية، فقد اتصلت بالأمس لأرى ما إذا كان هناك سيارة متوفرة، فعند جورجيو سيارات يؤجرها لزوار الصيف.. وقد وعدني أن أجد سيارة متى شئت.

ـ يا لكفاءتك! تفكرين في كل شيء.

كانت تعابير وجه مارشا تنقسم بين الرهبة والاتهام الممتعض لكن ويلو ردت ببرود:

ـ لقد سبق أن جئت إلى هذا المكان.

قاطعتها مارشا والإثارة تطغى على عينيها البنيتين:

ـ أوه.. انظري.. أشجار برتقال.

كانتا على طريق ضيق متعرج. والڤيلات على جانبيه، تحيط بها الحدائق الرائعة الغنية بأشجار النباتات المعترشة وأشجار الصنوبر المرتفعة، وعلى سفوح جبل صخري بضع صفوف من الكرمة تتخلل أغصان الزيتون الفضية الأوراق.

مدت ويلو يدها تشير:

ـ هذه هي القرية الآن.

حدقت صديقتها إلى القرية الصغيرة الجميلة، فإذا هي مزيج غير منظم من السقوف الحمراء والجدران البيضاء، تخترقها هنا وهناك أبراج حجرية مربعة، وجدران رومانية الشكل وبضع بروج مدببة للكنيسة، حيثما ترتفع عتمة أشجار السرو المستدقة الأطراف، متحدية السماء الزرقاء.

مالت ويلو إلى الأمام، تتحدث بإيطالية حذرة مع السائق، الذي انعطف بعد لحظات إلى طريق وعرة غير مستوية، راحت السيارة عليها تقفز وتتراقص، ثم توقفت أخيراً أمام بوابة خشبية مطلية بلون أبيض. فقفزت ويلو إلى الخارج لتفتح البوابة التي دفعتها إلى الخلف لتسمح للسيارة بالدخول إلى طريق داخلية مستديرة أمام الڤيلا.

خرج السائق، وأنزل حقائبهما من صندوق السيارة، ثم حسب بكم هما مدينتان له، بعدها راقب ويلو تعد القطع النقدية قبل أن تنقده لصاحب اليد السمراء. راحت مارشا تتجول في الحديقة، تنظر ممتعة البصر إلى أبواق زهرة الجيرانيوم البيضاء وإلى المرجة المظللة وإلى شجرة الليمون والعرائش المزهرة. عندما خرج التاكسي من البوابة، التفتت ويلو تراقب صديقتها ساخرة، ثم قالت وهي تخرج مفتاح الڤيلا من حقيبة يدها:

ـ ساعديني على الحقائب.

سارعت مارشا إلى مساعدتها قائلة بحماس:

ـ المكان رائع الجمال. الهواء عابق برائحة الزهور..

ثم قفزت لترمي الحقيبة التي حملتها لتوّها من يدها، وصرخت بذعر، فسألتها ويلو وهي تدفع الباب الأمامي لينفتح:

ـ ما الأمر الآن؟

ـ لقد مرَّ شيء أخضر فوق الجدار.. انظري.. هناك.. لقد

تحرك ثانية، خلف تلك العريشة.

ـ إنها سحلية.

حملت ويلو إحدى الحقيبتين الكبيرتين، ودخلت إلى ظلال الردهة الباردة:

ـ مارشا.. ادخلي.. أمامنا أعمال كثيرة قبل التوجه إلى السباحة، فأنا أموت شوقاً للنزول إلى البركة.. أكاد أُشوى من الحرارة وأموت من التعب.

لحقت بها مارشا، تحمل عدة حقائب، وتقول لنفسها:

ـ إنها سحالي.. سحالي خضراء لامعة تركض فوق الجدار صعوداً ونزولاً.

لم تكن واثقة مما إذا كانت الفكرة مشوقة أم مرعبة، لكنها نقلت بصرها من الردهة إلى أرضها الحجرية فجدرانها البيضاء، المليئة بلوحات مائية الألوان.

تقدمت ويلو إلى اليمين، وصعدت درجاً حجرياً مفتوحاً يقود إلى الطابق الأول ثم قالت محذرة:

ـ ليس له درابزين، فاحذري.. تعالي لتختاري غرفتك، ثمة غرف أربع.

دفعت ويلو الباب الأول في فسحة الدرج ودخلت، تضع حقيبتها قرب السرير.. كانت النوافذ الخشبية مقفلة، والغرفة مظلمة باردة، وكل ما فيها مرتب نظيف. فقد اتفق دايف وجنيفر مع امرأة لتقوم بتنظيف المنزل وهي تأتي كل أسبوع لتتأكد أن الڤيلا في حالة جيدة.

قالت ويلو لمارشا التي وقفت بالباب تحدق إلى الغطاء الاسباني الطراز الأحمر والأسود وما ينسجم معه من خزانة بيضاء ذات أبواب مليئة بالفتحات لتهوئتها.

ـ هذه غرفتي.

ـ أحببت الديكور؟

ـ أجل.. لقد اختار دايف الألوان الصارخة في مواجهة الجدران البيضاء.. ومن السهل تجديد الديكور، ما عليك سوى إحضار طلاء أبيض لطلاء المكان بها، وأضيفي إلى ذلك أن الشمس مشعة معظم أيام السنة.

لكنها كانت تتحدث إلى مستمعة غائبة، فقد راحت مارشا تدخل من غرفة إلى أخرى، تشهق عجباً، وتتردد، فنادتها ويلو:

ـ سأغتسل وأرتدي الشورت والتي شيرت.

ردت مارشا:

ـ حسناً.

كانت ويلو في الطابق السفلي في مطبخ عصري، تنظر إلى مسبح مربع عندما دخلت مارشا، ترتدي شورتاً قصيراً وردي اللون، وتي شيرت بيضاء وتنتعل خفاً معدّ من قماش أبيض عالي الكعبين. كانت ويلو قد حضّرت الشاي وذلك بعدما تفقدت محتويات خزانة المؤنة والبراد. كان هناك وكما توقعت أنواع مختلفة من الخضار والفاكهة المعلبة، وبعض البسكويت، والسيريل، والحليب الذي لا يتعرض للفساد، من كان في الڤيلا سابقاً ترك أشياء غريبة: بعض الزبيب ومعكرونة عريضة، وعلب طعام للأطفال. قالت:

ـ سأعد لائحة أثناء احتسائنا الشاي ثم بعد ذلك نقصد سيراً المحل لنرى ماذا نستطيع أن نشتري منه.. ماذا تفضلين للعشاء؟ ما رأيك باسكالوب لحم العجل؟

ـ عظيم. لكنني الآن أتضور جوعاً وعليه سأصنع طبقاً من المعجنات.

ـ ليس لدينا وقت.. يجب أن نصل المحل قبل أن تنفذ خضار

السلطة.

مع ذلك صبّت مارشا بعض الحليب فوق طبق من المعجنات الجافة وخلطتها بحذر فأصبحت عجينة لزجة.

ـ سأضعها في البراد حتى نعود، فنجدها جاهزة للأكل. أيبيعون الفاكهة الطازجة في المحل؟ فأنا أحب المعجنات مع الفريز.

ـ وأنا كذلك، ثم إن الطقس حار على الطهي، وقد ينتهي بنا الأمر إلى العيش على المعجنات واللبن الرائب والسلطة، دون الاقتراب من الفرن.

ردت مارشا راضية:

ـ عطلة كسولة.. هذا ما أحتاجه بالضبط.

كانت كلّ منهما تعمل بجهد للبوتيك الذي استثمرتا كل بنس كان معهما فيه. كان المحل المستأجر لويلو التي اشترته بإرث صغير ورثته عن جدها. هوس مارشا بالأزياء هو ما أملى الطراز الذي تحاولان الحصول عليه، والمحل مغامرة مشتركة بشتى الطرق. فويلو رائعة في عملية التنظيم ومارشا جيدة في عملية البيع.. وهكذا أصبحنا فريق عمل رائع.. وقد حدث أن اكتشفتا امرأة صغيرة الحجم في الخمسين من العمر مفعمة بالنشاط، كانت تتحرق رغبة لتفعل شيئاً في حياتها قبل أن يفوت الأوان وهذا ما جعلها عضواً ذا قيمة في الفريق. وهي الآن تدير المحل في غيابهما، وقد كادت تدفعهما دفعاً خارج باب المحل، إذ كانت تتحرق شوقاً حتى تصبح المسؤولة الوحيدة عن العمل، ولو لأسبوعين!

قالت ويلو بعدما انطلقتا نحو القرية:

ـ شمس وهواء وبحر، وطعام جيد.

صاحت مارشا ضاحكة:

ـ ودون رجال!

نظرت إليها ويلو بارتياب، فأسرعت تردف:

ـ أوه.. أنا أعني ما أقول!

ـ طبعاً.. تعنين ما تقولين!

كانت الشمس حارقة فوق رأسيهما، فسارتا تحت ظلال الأشجار الوارفة، يلامس السرخس البرّي البارد أرجلهما، وتابعت زيزان الحصاد موسيقاها. سمعتا صدى رذاذ الماء الناتج عن قفز أحدهم إلى بركة سباحة، فتنهدت ويلو اشتياقاً للإحساس بالمياه الباردة على بشرتها الحارة. إن ما ستقوم به حين تعود هو ارتداء المايوه والتوجه إلى البركة.

كان الشارع ضيقاً وفارغاً تقريباً. فيه استلقى كلب غرق في النوم تحت ظلّ خيمة محل وفيه رجال يجلسون على طاولات المقهى راحوا يتأملون الفتاتين. كانت مارشا ترتدي ثوباً ورديّ اللون برّاقاً، وويلو ترتدي سروالاً كحلياً قصيراً وقميصاً أبيض ضيقاً، ترك كتفيها وذراعيها عاريةً. تمتمت مارشا حانقة وهما تحشران نفسيهما داخل المحل الصغير المكتظ بالصناديق الكبيرة المليئة بالمنظفات وزيوت الطبخ.

ـ لا أريد أن يقع نظري على رجل مرة أخرى ما حييت.

ـ سمعت هذا من قبل. أنت تختارين رجالاً سيئين.. في المرة القادمة جرّبي...

قاطعتها بقرف:

ـ من الحثالة! هذا ما تختارينه أنت دائماً.. أليس كذلك.. رجل لطيف، مؤدب يملك بوليصة تأمين وينتعل حذاءً لمّاعاً ويرتدي ثوباً كهنوتياً تحت قميصه..

ضحكت ويلو وتناولت من البائعة رغيفين طويلين رفيعين من الخبز وبعض الجبن، ثم نظرت إلى مارشا مؤنبة:

ـ على الأقل لن يتبين أنه متزوج.

انقلبت أسارير وجه مارشا إلى اعتراف قلق. استغرقت العودة إلى الڤيلا وقتاً أطول لأنهما كانتا تسيران صعوداً وأكياس المشتريات تثقل أذرعهما وتبطىء سيرهما. حين وصلتا أخيراً إلى الباب الأمامي راحت ويلو تفتش عن المفتاح، ثم لمّا دخلت إلى الردهة الظليلة توقفت عابسة. تصميم الڤيلا مكشوف، فمن الردهة يمكن رؤية كل غرف الطابق السفلي. جالت عينا ويلو من غرفة إلى أخرى، فبدت كلها هادئة خالية ولم تسمع صوتاً ولكنها رغم ذلك أحست بقشعريرة تسري في ظهرها وكأن حدسها ينبئها بشيء تخشى وجودها.

بدا لها الجو مشبعاً بالذبذبة وكأنما كان في المنزل شخص ما تزال أنفاسه حية. سألتها مارشا بحيرة:

ـ ماذا هناك؟

همست ويلو تتقدم على أطراف أصابعها نحو السلم:

ـ في المنزل شخص ما.

ـ ماذا؟

أوقعت مارشا الأكياس التي تحملها فانكسر وعاء من الأوعية الزجاجية، وخرجت عدة برتقالات أوقفتها ويلو بقدمها عن غير وعي، ثم التفتت إلى مارشا التي تقدمت بحذر نحوها:

ـ هس!

راحتا ترتقيان معاً الدرج، ثم همست مارشا:

ـ لا أسمع شيئاً.

استرخت ويلو قليلاً.

ـ ربما أتخيل الأشياء.

لكنها لاحظت أن باب غرفتها مفتوح على مصراعيه، فتصلبت مجدداً، وقالت تفكر بصوت مرتفع:

ـ هاي.. ألم أقفل الباب حين خرجت منه؟ أذكر أنني أقفلته.. هل دخلتِ إلى الغرفة مارشا؟

ردت متوترة وعيناها البنيتان متسعتان دهشة:

ـ لا.

وضعت ويلو الكيسين اللذين تحملهما بين ذراعي مارشا، وعادت إلى مشجب المظلات قرب الباب الأمامي، فهمست مارشا:

ـ ماذا ستفعلين؟

اختارت ويلو عكازاً له رأس ذهبي ثقيل، لا بد أن والدها تركه هناك في إحدى زياراته:

ـ يجب أن نتحقق من المكان. ابقي هنا.. ربما السيدة ڤيغر قدمت لتقوم ببعض الأعمال المنزلية.

ـ لماذا لا تنادين؟

ـ وأترك المجال لفقد نصف النفائس المحمولة؟ لن يسامحني دايف أبداً. ثمة أجهزة تسجيل ولوحات. نعم هي ليست غالية الثمن ولكن دايف يكره أن يفقد أياً منها، فالتأمين لا يغطي الأشياء ذات القيمة العاطفية.

وضعت أول قدم على الدرجة الأولى وراحت مارشا تراقبها من مسافة آمنة. ارتقت ويلو الدرج درجة درجة بحذر، تصيخ السمع.. ثم صدر صوت طنين فشهقت مارشا ولم تلبث أن بدأت ساعة سويسرية فيها عصفور الكوكو، تصدر أصوات الكوكو معلنة الوقت في المطبخ فكادت ويلو تنفجر ضحكاً على تعابير وجه مارشا. أوقفت الحركة حتى توقفت الساعة، إنها الرابعة وليس كل شيء على ما يرام، كما يقال. عادت تشق طريقها صعوداً إلى فسحة الدرج.. كانت هذه الساعة هدية لأولاد دايف الذي كادت تدفعه هذه الآلة إلى الجنون حتى وضعها في منزل العطلات هذا، وها هي الآن تفهم

شعوره.

تقدمت بحذر نحو غرفة نومها، تتطلع حولها، كانت مصاريع النافذة الخشبية مفتوحة كما لاحظت ثم شاهدت شيئاً آخر... لاحظت آثاراً تشير إلى أن أحدهم كان مستلقياً على فراشها، فعلى الغطاء الاسباني الطراز دلائل واضحة تشير إلى جسد طويل بل بإمكانها رؤية موضع الرأس على الوسادة وآثار القدمين في الأسفل. دفعت العصا الذهبية الرأس تحت السرير وحرّكتها بعنف لكنها لم تصطدم بشيء. بعد ذلك فتحت الخزانة، ثم ارتدت بحذر خشية أن يقفز أحد منها. بعد دقيقة تيقنت أن الغرفة خالية ففتشت الغرف الأخرى بالطريقة نفسها، أما مارشا فراحت تهمس من الأسفل:

ـ ويلو.. ويلو.. أين أنت؟

عندما اقتنعت أن المكان خالٍ، نزلت ويلو، والعكاز على كتفها. سألت مارشا:

ـ حسناً؟

ـ لا أثر ولكن أحدهم كان نائماً في فراشي وهو ليس السيدة ڤيغر. إنها قصيرة ومستديرة. أما الشخص الذي كان فرجل، أستطيع القول إن طوله يزيد عن المئة والثمانين سنتمتراً، ووزنه غير ثقيل، له شعر أسود وهو منتعل حذاء من الكاوتشوك.

فغرت مارشا فمها ذهولاً:

ـ أتمزحين؟

ـ لا.. مارشا مونرو.. وجدت شعرة سوداء على الوسادة، وطبعة كعب حذاء مطاطي على أعلى السلم. لقد كان دون شك يسير في طريق مغبرة فعلق بعض الغبار على حذائه.. الأمر غريب.. لم يختفِ شيئاً، وكائناً من يكون... لقد اختفى.

ـ ألا يجب الاتصال بالشرطة؟

ـ سأتصل بالسيدة ڤيغر أولاً. فهي دون شك تعلم ما إذا كان دايف قد طلب من عامل التمديدات أو أحد البنائين القيام بعمل ما. وعندها لن يدهشني ما فعل هذا العامل... فالعمال يتعبون بسهولة، ولا بدَّ أنه اضطر للاستلقاء على سريري.

ضحكت مارشا ودخلت إلى المطبخ لتضع أكياس المشتريات، أما ويلو فانحنت تلتقط الذي أوقعته مارشا.

في تلك اللحظة سمعت صيحة رعب من المطبخ.

ـ ما الأمر؟

اندفعت إلى المطبخ فرأت مارشا تنظر من النافذة إلى الحديقة.

ـ إنه هناك!

ـ يا إلهي، كنت محقة، طوله يزيد عن المئة والثمانين.

وكان أسود الشعر كذلك، تزيده الشمس لمعاناً وهو مستلق على كرسي طويل قرب البركة، وكأنه ينتمي تماماً إلى هذا المكان. كان عريض الكتفين، مديد الساقين، يرتدي قميصاً مفتوح الياقة وسروالاً عاجياً. لم تظهر عليه سيماء الإجرام ولكنه لا يبدو أيضاً عامل تمديدات صحية. قالت مارشا بغضب:

ـ إنه يأكل طبق المعجنات مع الحليب الذي أعددته لنفسي!

وعصفت خارجة من المطبخ بعدما اختطفت العصا الذهبية الرأس من يد ويلو التي تبعتها ساخطة، فقد كانت ستتصل بالشرطة قبل الخروج إليه بتهور لمواجهته، لكن مارشا دوماً السباقة إلى التورط في مواقف خطرة.

حثّت مارشا الخطى على الحصى فطقطق كعبا حذائها العالي وكأنه صوت نقّار الخشب. أما الغريب فالتفت محدقاً إليها، والملعقة متوقفة في منتصف الطريق إلى فمه. شهقت مارشا مقطوعة الأنفاس:

ـ من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟ كيف دخلت الڤيلا؟

نظرت إلى المعجنات والحليب بأسى وأكملت غاضبة:

ـ أنزل هذه الملعقة، فالمعجنات التي سرقتها هي لي.

كادت ويلو تصطدم بمارشا حين وصلت، فنظرت إليها مارشا بنفاذ صبر، وعيناها تحثان ويلو على رد إيجابي:

ـ هل اتصلت بالشرطة؟

هزت ويلو رأسها.

ـ أجل، وسيحضرون في أية لحظة.

نظرت مارشا إلى الغريب بانتصار:

ـ إذن.. الأفضل لك أن تذهب من هنا بسرعة.. يا سيد!

انتظرت أن تظهر عليه دلائل الذعر والعجلة، لكنه وضع الملعقة بكل هدوء في فمه، وراح يمضغ الطعام، فحارت مارشا في أمره وارتبكت ونقلت بصرها برجاء إلى ويلو التي قالت لها (إيطالي؟) قبل أن تلتفت إلى الغريب الذي كاد الآن ينهي ما في الطبق متجاهلاً إياهما:

ـ سنيور؟

رفع نظره إليهما مبتسماً لمارشا بفتنة. كان وجهه نحيلاً أسمر، وخداه بارزي العظم وأنفه طويلاً، في تكوينه لمحة عجرفة وكان على وجهه تزمّت وقسوة، وعلى فمه وذقنه نزعة التسلّط. حين ابتسم، بدا مختلفاً جداً فراقبته ويلو متوترة وهي تراه يتأمل جسد مارشا الجميل التقاطيع. همست لمارشا:

ـ ما ترجمة متطفل؟

رد الغريب بصوت عميق أجشّ فيه تسلية ومرح.

ـ لست إيطالياً.

اتسعت عينا مارشا.

ـ أوه.. لكنك تبدو إيطالياً؟

نظرت إليها ويلو شذراً، فمارشا في كثير من الأحيان بسيطة التفكير، لماذا تنظر إليه هكذا؟

التفتت إليه ويلو:

ـ إذا كنت إنكليزياً، فلماذا لم ترد علينا الآن؟

هز كتفيه ساخراً:

ـ كنت آكل وأنا ممن لا يحب أن يقاطعني أحد أثناء تناولي الطعام.

انفجرت ويلو:

ـ أوه.. دعك من هذا... كنت تمهل نفسك بعض الوقت لتفكر بعذر لوجودك هنا.. أليس كذلك؟

ـ لا أحتاج إلى الأعذار، فلقد استأجرت هذا المكان مدة أسبوعين.

ـ أوه.. لا. لم تستأجر، فصاحب الڤيلا هو شقيقي ولو أجّرها لأخبرني بذلك. نحن نقيم هنا.. حين تصل الشرطة، اشرح كيف دخلت الڤيلا وماذا كنت تنوي فعله بعدما أنهيت ما تسميه بوجبة طعامك. ألديك سيارة (فان) متوقفة في مكان قريب؟ هل خططت لتحميل كل ما يمكن حمله فيها، ثم الهرب دون أن يدري بك أحد؟

فكر ملياً ثم لمّا شاهدت لمعان أسنانه البيضاء من خلال شفتيه السمراوين أحست بالسخط على جمال طلعته. لكن لديها أسباباً وجيهة لتكره الرجال البهي الطلعة، فهم فاسدون عادة فارغون، لا يُعتمد عليهم أبداً، ينتهزون الفرص، أما الأمانة عندهم فمجرد كلمة. وهذا الرجل بالنسبة إليها ليس استثناء لتلك القاعدة فهو في غاية الجاذبية، مدرك جاذبيته. أحست بنظرته الممعنة البطيئة، فكرهته أكثر.. كانت تعرف أنه يفكر وهو ينقل بصره منها إلى مارشا

مبتسماً. لقد وصف أحد الشبان ويلو بالمثيرة للاهتمام وهو يحاول جهده أن يدفعها إلى حبه دون جدوى.. ولكن وجهها لم يكن خاضعاً لأصول الجمال، أما جسدها فأنحف من أن يكون جذاباً.

أبدل الغريب وضع قدميه، ودسّ يده في جيب سرواله فذعرت ويلو من هذه الحركة، إذ خشيت أن يخرج مسدساً من جيبه. لكنه أخرج مفتاحاً معلقاً بحمالة، ومدّه متدلياً أمامها:

ـ لقد دخلت بواسطة هذا المفتاح الذي أُعطيته.

ضاقت عيناها:

ـ من أعطاك إيّاه؟

ـ مالك هذه القيلا. وأشك كثيراً أن يكون أخاك.. إلا إذا ولدتِ متأخرة لوالديك.

جلست مارشا تضع ذقنها بين يديها تنقل بصرها من أحدهما إلى الآخر وعيناها تلمعان بالإثارة وكأنها تشاهد مسرحية، أما ويلو فسحبت نفساً عميقاً بحذر وهي تعد إلى العشرة.

قبل أن ينفجر غضبها لم تعجبها الطريقة التي كانت عيناه الرماديتان تسخران منها. ولا أعجبتها طريقته في طواف عينيه على جسدها وكأنه بهما يريد الإحاطة بكل إنش من جسدها النحيل قبل أن يقرّر أنها لا تستحق نظرة أخرى.

ـ ما اسم الرجل الذي أعطاك المفتاح؟

ـ آدم لوبرن.

شهقت مارشا وبدأت تضحك، أما ويلو فأنزلت العكاز الذهبي الرأس وتهاوت إلى كرسي قريب. فقال المتطفل بكسل:

ـ أرى أنك تعرفينه.

ردت بغيظ:

ـ إنه أبي.

كان يجب أن تعرف أن آدم لم يكن ليهتم يوماً بالاتفاقات العادية.. ولن يخطر في باله أبداً أن يذكر لأحد أنه سمح لغريب باستخدام ڤيلا دايف مدة اسبوعين. لا شك أنه لم يخبر دايف لأن شقيقها لا يمكن أن ينسى أمراً كهذا إن عرف به.

ـ والدك؟

لم تعجبها الطريقة التي سألها فيها، لكنها لم تدهش حينما ظهرت ملامح عدم التصديق على وجهه.. كل من يعرف والدها ينظر إليها نظرة هذا الرجل. نظرة من لا يصدق ما يرى وكأنها لا تقول الحقيقة، وكان يحرجها أن ترى في هذه النظرة الأسف عليها، لأنها لا تشبه أباها أبداً. آدم لوبرن أوسم رجال جيله، وهو رجل كانت تلتقط له الصور بشكل دائم وتُرسم أيضاً له اللوحات على يد فنانين مشهورين في صباه. لقد كان أحد تلك الوجوه التي أصبحت صورة لحقيقة كاملة، وهو حتى اليوم في الخمسين يدير الرؤوس ويجعل عيون النساء تحلم.

ردت متحدية وذقنها الصغير يرتفع مشاكسة:

ـ هذا صحيح! ولا يحق له أن يؤجرك الڤيلا لأنه لا يملكها. أخي من يملكها، لذا أخشى أن تكون مضطراً لمغادرة هذا المكان، ويؤسفني إن كان مطلبي يزعجك. من الواضح أن هناك غلطة ما وأنا واثقة من قدرتك على إيجاد مكان تنام فيه كفندق أو ڤيلا أخرى.

رد الغريب بصوت بارد حازم:

ـ لن أذهب إلى أي مكان. دفعت أجرة اسبوعين، وسأبقى هنا.

ـ لا تكن سخيفاً.. لا تستطيع. لقد وصلنا قبلك ووصلت أنت أثناء وجودنا في السوق وقد وضعنا حقائبنا قبل هذا في الڤيلا.. أين هي حقائبك؟

ـ في صندوق سيارتي المركونة في الكاراج الذي اضطررت إلى

تركها فيه بسبب عطل في المقود، ولكني وُعدت باسترجاعها حالما يصلحونها. إنما هذا قد يكون بعد أيام وهذا يعني أنني لا أملك وسيلة نقل في الوقت الراهن.

قالت مارشا بصوت شفوق:

ـ أوه.. يا للرجل المسكين... كان يومك عصيباً، أليس كذلك؟ أولاً سيارتك، ثم هذا اللبس بشأن الڤيلا! أليس الأمر شائكاً دائماً في العطلات؟ ألم تلاحظ هذا؟ ثمة ما يسيئك دائماً مهما كنت حذراً في تخطيطك. لكن لا تقلق، أنا واثقة أننا سنتدبر الأمر. فهناك أربعة غرف نوم.. على أي حال.

صرّت ويلو على أسنانها لا تصدق ما تسمع أذناها. لا يمكن لمارشا أن تدعو هذا الرجل للبقاء في الڤيلا معهما؟

مدت مارشا يدها إليه قائلة: «أنا مارشا مونرو»

أمسك الغريب يدها:

ـ وأنا كالمر ديكستر. كنت سأشير إلى وجود العديد من الغرف، كما إنني محترم في الواقع. والسيد لوبرون سيشهد بذلك هذا إذا رأيتما ضرورة السؤال.

قاطعتها ويلو بغضب مكبوح:

ـ مارشا.. أود مكالمتك على انفراد.

سارت ويلو مبتعدة، ولحقت مارشا بها، وعندما أصبحا بعيداً عن مسمعه استدارت إلى صديقتها تقول بهمس حاد:

ـ لا أريد أن يدور حولنا هذا الرجل في الاسبوعين القادمين، لن يبقى، ما الذي دعاك إلى دعوته ونحن لا نعرف عنه شيئاً؟ قد يكون مجرماً ما أدرانا. كما إنه بكل تأكيد ليس الرفيق الذي قد أختاره لعطلة ما. سأطلب منه الرحيل وعليك دعمي.

تحولت أساريرها إلى استعطاف وقالت محتجة:

ـ يا للرجل المسكين؟ يا للمسكين! لا يمكنك فعل هذا به..

كررت ويلو ساخرة:

ـ يا للرجل المسكين؟ يا للمسكين..؟ ألم يعلمك المأسوف عليه بيلي شيئاً عن رجال كهذا؟ نظرة واحدة إلى هذا الرجل تكفي إلى أن أعرف أنه كالسم النقي.. إنه على الأرجح يحطم قلوب النساء كما يأكل غيره الفستق... إنه يلتقط أي فتاة يراها ويلتهمها.. أهذا ما تريدين أن يحدث لك؟ أن تكوني فريسة سهلة لرجل مثله؟

نظرت مارشا إليها نظرة خبيثة غير متوقعة:

ـ أنت لا تحبينه لأنه يعرف أباك، وأنت لا تحبين أبداً أصدقاء أبيك.

شاهدت الغضب يتصاعد إلى وجه ويلو، لكنها أكملت وكأنها تهدىء من روعها:

ـ أفهم ما تشعرين به! لا شك أن الأمر صعب عليك أن تكوني ابنة رجل شهير. تعيشين دائماً في ظله، تُقارنين به دائماً ويدعوك الناس ابنة آدم لوبرن، وكأنك لا شيء يذكر، لطالما فكرت كم أكره هذا!

انفجرت ويلو بصوت أجش خفيض.

ـ إنك لم تبدئي التصور حتى..

ثم صمتت، غير قادرة على قول المزيد، ليس لتحمي نفسها إنما لتحمي أمها، التي لم تقل يوماً على الأقل أمام ابنتها كلمة ضد آدم ولم تلمح قط إلى الألم والإذلال اللذين تعاني منهما منذ سنوات. لكن مارشا قالت بإصرار مرح، وكأنها مصرة على الإزعاج:

ـ بلى أستطيع..! حقاً ويلو.. أعرف أن الأمر ثقيل لا يطاق ولكن من غير الممكن رفض وجود كالمر لا لسبب إلا لأنك تشمئزين

من بنوتك لآدم لوبرن! لقد قبض والدك أجر اسبوعين.. تذكري هذا. لقد دفع كالمر ليمكث هنا، وقاد سيارته مسافة طويلة أدت إلى عطل في سيارته وهو عالق الآن ولا يمكننا إجباره على الرحيل. على الأقل، فليبقَ أقلّه حتى تصلح سيارته.

نظرت ويلو إليها ساخرة:

ـ هل أعجبك؟

ضحكت مارشا، ولم تتمالك ويلو نفسها من الضحك.

ـ أنت حمقاء مارشا.

ـ أعرف.. لكنه في غاية الوسامة، ألا تظنين هذا؟

ـ بل إنه طاووس مغرور. ألا تحبين الطريقة التي يتغطرس بها؟

ضحكت مارشا:

ـ حسناً، ألا تعرفين المثل القائل.. شعرة من كلب...؟

ـ يلائمه هذا المثل!

ـ أيستطيع البقاء؟

ـ كيف أمنعك من الغباء؟ ما دمت مصممة على استبقائه، فكيف أقف في طريقك؟ إنما لا تطلبي مني التعاطف معك حين يتركك ويرحل.

ـ ربما هذه المرة...

هزت ويلو رأسها مشفقة:

ـ أنت صنف فريد من نوعك مارشا مونرو.. تعودين إلى المأزق نفسه مع كل رجل جديد، ولا تتعلمين شيئاً.

ـ أنت ساخرة، أتعرفين هذا؟

تركتها لتعود إلى حيث يجلس كالمر ديكستر، متنعماً مسترخياً تحت ظل المظلة، يراقبهما بعينين ضيقتين حذرتين. ثم ما هي إلا لحظات حتى سمعتها ويلو تتحدث إليه، تضحك معه، ولكنها

أحست أنه يرميها بنظرات جانبية، واستطاعت أن تخمن بأنه يفكر في أنه ربح الجولة، وتمكن من تجاوزهما معاً. حسناً إنه محق بالنسبة لمارشا، لكن ويلو متيعة ضد أمثاله. فهي لم تترعرع في كنف آدم لوبرن دون أن تتعلم شيئاً عن الجانب البشع من الجمال.

* * *

liilas.com
rayqh

٢ ـ ظلٌ لأبي

وضّبت ويلو كل ما اشترياه من أطعمة، ثم صعدت لتخرج ثيابها من الحقائب لترتيبها في الخزانة.

كان وجهها متجهماً وهي تتحرك ببطء في غرفتها واسم آدم وحده ما يزال يبعث فيها الغيظ والحنق ويجعل أسنانها تطبق بشدة حتى أحست بألم في فكيها. نادراً ما رأت والدها، هذا إذا استطاعت تجنب رؤيته وكانت حين تراه، لا تجد ما تقوله له. قد تكون أمها قادرة على المغفرة والنسيان، لكن ويلو عانت كثيراً من الإحراج والبؤس بسبب نشر فضائح علاقات أبيها. تذكر أن طفولتها كانت مؤرقة دمّرها مزاح أصدقائها وإزعاجهم لها، وفضول الكبار من حولها وصمت أمها وتعاستها. إن عدم ذكر أمها القصص التي كانت تظهر شكل متواصل على صفحات الفضائح والشائعات في المجلات النسائية، لم يخفف من غضب ويلو وسخطها، بل كان ذلك الصمت يزيد شاعرها عمقاً. كان ولاء أمها بمقدار خيانة أبيها، وهذا خير دليل إلى أية درجة تحب الرجل الذي كان يُرى دائماً مع نساء أخر. ولم تكن ويلو لتفهم لماذا لا تطلب أمها الطلاق من آدم، بل لقد كرهت في أمها سلبيتها وصمتها وجبنها وعدم قدرتها على التحرر من زوج لا يحبها.

اندفعت مرة تحتج في وجه أمها:

ـ لماذا لا تتركينه؟ اطلبي الطلاق!

ـ أحبه يا ويلو... أنت لا تفهمين...

ـ وما الذي لا أفهمه؟

كانت في الثالثة عشرة من عمرها سريعة الغضب حادة الطبع، عنيفة العاطفة، ترى كل شيء بالأبيض والأسود، عمياء عن إنصاف الوقائع التي تظهرها الحياة غالباً... قالت يومها ساخرة، تحدق إلى أمها بعينين غاضبتين:

ـ وكيف تتحملين الأمر؟ أليس عندك كرامة؟ أنا لن أتحمل.. كوني واثقة من هذا... ما من رجل سيتمكن يوماً من معاملتي كما يعاملك أبي.

حين لاحظت شحوب وجه أمها، تعضّ شفتها مصدومة، سارعت تتمتم:

ـ آسفة... لم أقصد الإساءة إليك.. لكنني لا أفهم.

ابتسمت الأم تهزّ رأسها لويلو:

ـ ليس الأمر بالأهمية التي تظنين.

فقدت ويلو القدرة على الكلام وأصابها الارتباك، ثم عرفت أن أمها مستعدة لتحمّل كل خيانات آدم وعدم وفائه على ألا تخسره. وأصمتتها الصدمة، ولم تعد تذكر الأمر لأمها.

حين أنهت إفراغ الحقائب، نظرت إلى ساعتها.. لقد آن وقت السباحة قبل تحضير العشاء، فكان أن أقفلت الباب بالمفتاح وخلعت ملابسها، وارتدت البيكيني الذي حملته معها. حين خرجت إلى أشعة الشمس المشرقة، وجدت مارشا وكالمر لا يزالان يجلسان حول الطاولة. كانا يحتسيان مياهاً معدنية، كانت قد وضعتها سابقاً في البراد، فبدت لها شهية وهي ترى الثلج وقطعاً من الليمون تفور فيها. أحست بالتوتر لأنها عرفت أن وجود كالمر ديكستر يعني أن مارشا ستهتم به، وتبقى بين يديه وقدميه، تاركة ويلو ترافق نفسها.

التفتت مارشا إليها قائلة:

ـ هاي! هذه فكرة رائعة، سأبدّل ملابسي وأسبح. ماذا عنك كال؟

ـ لم تصل حقائبي بعد. وعدوا بإيصالها في السابعة والوقت يوشك على ذلك. اذهبي وبدّلي ملابسك مارشا وسأنضمّ إليك فيما بعد.

ـ حسناً.

ولجت مارشا إلى القيلا، أما ويلو فتقدمت من الشرفة المرصوفة لتغطس في البركة بسبب عجلتها لا بسبب رشاقتها، لأنها وجدت نظرة كالمر إليها مزعجة. فقد جعلها البيكيني الأبيض، خالية من أية تموجات جسدية بشكل ظاهر، فجسدها الصبياني تكرهه بمرارة، خاصة ورجل كهذا يراقبها. فقد أحست بسخرية كريهة في عينيه الرماديتين، وودت لو يلحق بمارشا إلى الداخل. لكن حين وقف دنا من حافة البركة يتابع ضرباتها السريعة وانسلال جسدها في المياه الزرقاء. عندما اختلست نظرة إليه رأته واضعاً نظارة شمس سوداء أخفت تعابير عينيه، لكنها لم تخفِ انحناء فمه الجاف.. كان يضحك عليها فأسرعت تبتعد عنه سباحة أكثر فأكثر متعمدة طرطشته بالماء.

حين قفلت راجعة كان قد اختفى، فخففت سرعتها وفي اللحظة نفسها ظهرت مارشا يكسو جسدها ثوب سباحة أحمر برّاق. قالت وهي تخفض نفسها ضاحكة نحو البركة:

ـ أبدو كزجاجة حليب.

ـ لقد حظيت ببعض الاسمرار من الربيع الفائت حينما كنت هنا ولم يزل بعض الشيء.

ـ وصلت سيارة من الكراج منذ برهة وقد نقلت حقائب كال،

لذا سينضم إلينا بعد دقائق.

أخذت مارشا تسبح نحو جهة البركة الأخرى، أما ويلو فذرعت البركة بسرعة قبل أن تتسلق خارجة لتدمّن سروالاً قصيراً وتضع منشفة حول جسدها كانت قد وضعتهما على الأرض، فرفعت مارشا رأسها إلى خارج الماء.

ـ هل ستدخلين إلى المنزل الآن؟

ـ أنا جائعة.. سأبدأ بتحضير العشاء.

حدقت مارشا إليها باستغراب ظاهر وهي تتوجه إلى الأسفل.

التقت ويلو بكالمر ديكستر يخرج من الڤيلا بثوب سباحة بدا فيه أكثر إثارة، فابتسمت له على مضض، تعي بنفاذ صبر، مدى عمق اسمرار جسده الصلب النحيل، ومدى نعومة كتفيه. كان يبدو مذهلاً، ويعرف هذا جيداً ولكنها تمنت لو أنها لا تعرف.

توقف ينظر إليها رافعاً حاجباً بسخرية ظاهرة:

ـ لم تطيلي البقاء في الماء طويلاً!

قالت له ما قالته لمارشا، ولم يبدُ العذر حقيقياً، فابتسم غير مصدق.

ـ قالت مارشا إنكما تديران معاً محلاً في لندن.

استمرَّ في الوقوف أمامها حتى عجزت عن تجاوزه لتدخل فردت باختصار متابعة بغضب:

ـ هذا صحيح.. هل أنت ممثل سيد ديكستر؟

كيف له أن يلتقي بأبيها؟ إنه من الطراز نفسه.

قال بهدوء:

ـ اسمي كال.. أوَ لم تسمعي بي؟!!

وكأنه لا يصدق!.

نظرت إليه ويلو بازدراء، لقد أصاب هذا غروره، أليس كذلك؟

قالت بسعادة:

ـ أخشى أنني لم أسمع بك.

نظر إليها بحدة، يقرأ الانتصار في عينيها الزرقاوين القاتمتين، ولكن وجهه ارتدى قناعاً يحجب الأفكار التي احتفظ بها بعيداً عن النظر. لمعت الشمس على شعره الأسود اللمّاع، فأعطته لمعاناً زاد من سمرة بشرته. ثم قال بهدوء:

ـ أرى أنك لا تحبين الممثلين كثيراً.

ـ هذا حسْنُ تمييز منك.

ضحك، فاحمرَّ وجهها.

ـ كلماتك طويلة رنانة. (قال ساخراً)

أحست أنها تتصرف بطفولية وعلمت أن هذا ما قصده بقوله، فقد أخبرها بذلك لمعان عينيه ثم تابع سائلاً بهدوء:

ـ وما خطب الممثلين؟

كان في سؤاله العادي أكثر من السطحية، فأحست بأعصابها تتوتر فهزت رأسها قائلة:

ـ إنهم مضجرون عادة.

خطت جانبياً تحاول الخلاص ولكنه سدَّ عليها الطريق مبتسماً.

ـ لن أجادلك في هذا.. فليس لي خبرتك مع ممثلي المسرح، لكنني أصدق أنهم مضجرون.. وعلى فكرة.. أنا كاتب لا ممثل.

عبست ويلو، فقد أذهلها رده:

ـ وماذا تكتب؟

ـ مسرحيات.. كتبت بعضاً منها.

ردت ببطء:

ـ ديكستر.. أوه.. أجل.. أذكرك.. كتبت آخر مسرحية مثّلها أبي.. أليس كذلك؟ «الخيانة الخرساء» شاهدتها مرتين.. كانت

جيدة.

كان يبدو في اعترافها الامتعاض، فقال ضاحكاً:

ـ يا للطفك!

وكأنما امتعاضها أثار تسليته.. فقالت ويلو بغيظ مقطبة الوجه عابسة:

ـ يجب أن أحضر العشاء.

تحرك مبتعداً عن طريقها، فأسرعت تلج الباب وصولاً إلى قلب القيلا، وهذا تجنباً له فيما إذا فكر في شيء آخر يغيظها به.. كانت مقتنعة أنه ممثل، فقد كان له كل السحر النرجسي الذي عند أبيها، إضافة إلى تلك الابتسامة التي تدل بوضوح على إدراكه مدى جمال طلّته، ومدى قدرته على إضعاف النساء. فحين واجهت ويلو، جماله الرجولي، قوته ورشاقته، وخفة جسده الأسمر، أحست بالتفاهة، والضعف. أحست بألم في داخلها وهي تغير ملابسها لترتدي سروالاً ورديا وقميصاً كما أحست بحزن قديم، وتاقت يوماً إلى أن ترى شكلها جديداً وجسدها مثيراً.

تناهت إليها من المسبح قهقهات وضحكات فنظرت من نافذة المطبخ التي كانت مفتوحة فوق رأسها، ومضت تقطع الخس بعنف وتفرم الطماطم والخيار بقوة وتنزع بذور الفلفل الأخضر، وتسخن الثوم، وقد قررت أثناء عملها ذاك أن تطلب من كالمر ديكستر الرحيل حالما تصبح سيارته جاهزة. لن تلعب لعبة الأبله لمصلحته ومصلحة مارشا، مهما تذمرت مارشا من هذا القرار.. قد يساعد وجوده مارشا لتخطي مشكلة قلبها، لكن هناك حدوداً لصداقة ويلو، ووجود كالمر ديكستر وهو ينظر إليها بتلك الطريقة الساخرة الرافضة، التي هي أكثر من أن يطيقها اللحم والدم.

عندما كانت طفلة صغيرة تمنت كثيراً لو تهرب بعيداً عن الأعين

لتبكي في غرفتها، وهذه الرغبة كانت تتفاعل في نفسها كلما نظر أصدقاء والدها إلى وجهها المتجهم قائلين:

ـ أهي ابنتك؟ لا يمكن أن نعرف هذا!

ويجيب آدم بسرعة:

ـ إنها تشبه أمها.

وذلك أمر صحيح. فلبيرتا البنية الضئيلة النحيلة نفسها والعينين الزرقاوين نفسيهما، والشعر الأدكن ذاته الذي انقلب إلى فضي مميز حين أصبحت في الأربعينات. لم تكن بيرتا جميلة كذلك، كانت هادئة صامتة، لوجهها حساسية وذكاء لطيف، لكن فمها واسع جداً، ولها أنف متكبر.. كان الناس يحبونها وقد حظيت بدائرة واسعة من الأصدقاء وهي مشغولة دائماً لأنها لم تكن تحتمل أن تجلس دون حراك. كانت تطبخ وتعتني بالحديقة، وتدير جمعيات محلية، تخيط وتطرز وتحفظ الفاكهة وتصنع المربى.. أما آدم فكان يدور متألقاً في سماء المسارح اللندنية. لكن بيرتا عادت إلى منزلها الذي يقع في قرية صغيرة من مقاطعة سوسكس، إلى عالم مختلف. هذان العالمان المختلفان لم يلتقيا قط بالنسبة لبيرتا، ولم تحاول أبداً أن تخطو من عالمها إلى عالم آدم. فقد كانت تكره الجو المشبع بالخوف من الاحتجاز للمسرح وتفضل عليه البقاء حيث هي، يزورها زوجها أحياناً.

فكرت أن زواجهما كان غريباً ثم راحت تطهو قطع الاسكالوب، وبعد ذلك نظرت إلى الخارج تصيح:

ـ العشاء بعد خمس دقائق.

قفزت مذعورة عندما تراءى لها طيف على الباب خلفها. فالتفتت وقلبها خافق كالطبول:

ـ أوه هذا أنت! حسبتك ما تزال في البركة.

رد عليها كال ديكستر، وهو يدخل إلى المطبخ:

ـ ما زالت مارشا هناك. هل أستطيع المساعدة؟

فكرت ويلو أن ترد: اذهب من هنا، فذهابك خير مساعدة تقدمها لأنني كنت سأتمتع بهذه العطلة لولا ظهورك... ربما فضحت عيناها ما قالته في نفسها، مع ذلك قالت بأدب:

ـ حضِّر الطاولة إذا أحببت.. زاوية العشاء في الردهة.

ـ بكل تأكيد.. أين أجد كل شيء؟

ـ ثمة خزانة جانبية قرب مائدة الطعام فيها كل ما تحتاج إليه.

ـ إنك في غاية الطيبة لأنك حضّرت وجبة طعام لي أيضاً. يجب أن تسمحي لي بأخذك ومارشا إلى العشاء في مكان مميز، أما ثمن الطعام الذي نشتريه للمنزل فأدفعه بنفسي. يؤسفني هذا التشوش ولكن حالما أحصل على سيارتي أرحل بحثاً عن مكان آخر أقيم فيه.

تمكنت ويلو من تصنّع ابتسامة أدب:

ـ لا بأس سيد ديكستر.

ـ كال...

وارتدّ متجهاً إلى الردهة، يرميها بنظرة عبر أهدابه الكثة السوداء التي كانت ستبدو أجمل على فتاة.

كانت ويلو قد بدأت تصبّ الوجبة حين ظهرت مارشا أخيراً. شعرها المبلل معقود على مؤخرة رأسها، وروب مشجر رقيق يطفو حولها كانت تعقده بعقدة مهملة لا يمكن لويلو أن تفعلها.

ابتسم كال لمنظر زيها قائلاً:

ـ يقول الميكانيكي، إن سيارتكما المستأجرة جاهزة في صباح الغد.

قالت مارشا:

ـ أوه.. عظيم.. ستتمكن من استكشاف المنطقة، أليس كذلك

ويلو؟ أتعرف هذا الجزء من إيطاليا جيداً كال؟

كانت ويلو تراقبه يساعد نفسه في تناول بعض السلطة. فشاهدت انخفاضاً سريعاً لجفنيه، وخلوّ وجهه من أي تعبير. فعرفت بسرعة أنه كاره الرد. لم تعرف لما يدفعه سؤال بريء كهذا إلى القلق، لكنه اعترف أخيراً:

ـ كنت في هذه المنطقة سابقاً... هل هذا المايونيز صنع منزلي؟

ردت ويلو تصب الخامض والخل فوق طبق السلطة أمامها:

ـ لا.. اشتريناه من المحل، وهو كثير الدسم.

ضحك وهو لا يصدق: «إنك لا تحتاجين إلى حمية، إنك نحيلة جداً!!»

احترقت وجنتاها ببقع حمراء، لذا لم ترفع رأسها، بل بدأت في تناول العشاء. أما مارشا فانحنت بسرعة لتشرع في الحديث مع كال عن البلدات التي تريد زيارتها.

فيما كانوا يشربون القهوة، سأل كال ويلو عرضاً عما إذا كانت عائلتها تمضي وقتاً طويلاً هنا. فأجابت:

ـ نأتي جميعاً إلى هنا، لكن الفيلا ملك أخي، وعائلته أكثر من يشغلها.

ـ وماذا عن والديك؟

ـ تأتي أمي أحياناً، أما أبي فيأتي حين تتاح له الفرصة.

ـ وحده؟

ضحكت ساخرة: «آدم لا يأتي وحده أبداً».

أجفلت على الفور وقد أدركت أنها كسرت تقليداً ستّه لنفسها وهو ينصُّ على عدم التحدث عن أبيها لأي كان ولكنها لم تفهم ما دفعها إلى الحديث عن أبيها هكذا. ربما لعب التعب بتفكيرها بعد

نهار طويل. وربما أثّرت فيها الشمس، والسباحة، وتوتر الأعصاب.

كان يبدو على مارشا النعاس كذلك، فاسترخت أثناء احتسائها القهوة، كان مرفقاها فوق الطاولة وهي تتثاءب حتى تكاد لا تعي ما يقال. أما كالمر ديكستر، فقد صبَّ فنجان قهوة آخر ووجهه خالٍ من أي شيء، وكأنه لم يلاحظ زلة لسان ويلو.

ـ لم أشاهد يوماً صورة لأمك في الصحف.. إنها تفضل البقاء في الظل، أليس كذلك؟

ردت باختصار:

ـ أجل! سأنظف الطاولة الآن، ثم آوي إلى الفراش.. أشعر بالنعاس وكذلك مارشا على ما يبدو.

رمشت مارشا بعينيها، ثم تثاءبت فبدت أسنانها البيضاء:

ـ ماذا؟

ضحك كال:

ـ تبدين كالسنجاب.

ابتسمت له بفتنة فتابع وهو يقف: «سأساعدك في غسيل الصحون».

رمته ويلو بابتسامة جافة: «شكراً»

لم تحاول مجادلته لمنعه بل ساعدته في حمل الصحون وأدوات الطعام إلى المطبخ، ثم انسلت هاربة، تتركه لمارشا التي لم تكن ترغب بعد في تركه.

غيّرت ويلو ملابسها، ودخلت إلى الفراش، نصف نائمة. ولكن قبل أن تغفو، ذكرت نفسها أن كالمر ديكستر إنما يتحرك في عالم والدها نفسه، لذا يجب ألا يزلق لسانها أمامه فيما يتعلق بوالدها. فالشائعات تنتشر كالنار في الهشيم، وولاءها لأمها يفوق أية مشاعر قد تكنّها لأبيها. ولسوف تتألم بيرتا إن عرفت أن ابنتها لمّحت مجرد

تلميح إلى ما فيه انتقاد علني لأبيها.. ولقد تعلّمت ويلو أن تمسك لسانها منذ أمد بعيد، ولن يحصل كالمر ديكستر منها على أية معلومات.

لم تدهش في الصباح التالي، حين وجدت نفسها وحيدة على الشرفة تتناول الفطور المؤلف من عصير البرتقال والقهوة والكرواسان.. فستظل مارشا نائمة حتى وقت متأخر، ذلك أنها تميل أثناء العطلة إلى تدليل نفسها بشتى الطرق. كانت ويلو تريد أن تسير نحو كاراج القرية، لتستقل سيارتها المستأجرة حالما تنهي طعامها.. وستحمل معها بعض الخبز الطازج، ذلك أنهم حالياً يملكون كل ما يحتاجونه هنا.

كادت تنهي فنجان القهوة الثاني حين أقبل كالمر ديكستر في ثياب الركض، مشعث الشعر متورد الوجه. فسألته بدهشة:

ـ أكنت تركض؟

رمى بنفسه على الكرسي قبالتها مبتسماً:

ـ أركض ميلين دائماً قبل الفطور.

ـ إنه نشاط عظيم تقوم به.

كان ردها ساخراً، فقد استشفت في كلامه تهنئة للنفس كانت تجدها عند أبيها وتمقتها. فلا يحقق آدم شيئاً دون وجود من يصفق له مبدياً إعجابه.. ولعل هذا ما جعله غير مخلص لأمها، لأنه كان يحس دائماً بالحاجة إلى تغيير المعجبين حتى في حياته العاطفية...

نظر كال إليها نظرة ممعنة ضيقة:

ـ ليتني أعرف ما يتآكلك هل أنت ساخرة دوماً؟

نهضت:

ـ دوماً.. أمهل نفسك ما تريد من وقت في إعداد القهوة، أما البرتقال ففي البراد، وأما الكرواسان ففي الخزانة.

صمتت قليلاً مبتسمة له ببرود قبل أن ترد:

ـ سأذهب إلى الكاراج في وقت ما لأسأل كم من الوقت يقتضي تصليح سيارتك. هل أذهب؟

رد بحدة:

ـ لك ما تريدين.

عرف أنها تود الخلاص منه، وابتعدت عنه، راضية لأنها جعلته يتضايق. لو ظن أنها ستهوي أرضاً لمجرد أنه أدار عينيه الساخرتين إليها فليعد النظر ثانية. فهي لم تدعه للسكن في القيلا وما هي غلطتها إن قال له والدها إن بإمكانه استئجارها.

بينما كانت تسير في الطريق الضيق المشعّ راحت تفكر أنها واثقة أن مسرحيات كالمر لاقت النجاح المنقطع النظير.. ألم يستمر في عرضها ما يقارب السنة؟ إن حالته إن نظرت إلى ملابسه ميسورة، فلماذا لا يختار فندقاً جيداً يسكن فيه ولماذا الإصرار على المكوث معهما؟ أهو حريص إلى هذه الدرجة على ماله أم أن لديه دوافع أخرى؟

ربما الأمر ببساطة أنه وصل فوجد فتاتين غير مرتبطتين في القيلا، فظنّ أن هذا الوضع جيد له خاصة وأن مارشا لم تحبط تلك الفكرة، فقد رحّبت به بذراعين مفتوحتين.. أما أن يكون السبب المال فغير وارد لأن آدم إن علم سيرد له ما دفعه من إيجار والواضح أنه قادر على دفع نفقات فندق.

أقنعت نفسها أنها تتخيل الأشياء، ولكن كان لديها منذ ليل الأمس إحساساً ينذر بالقلق من كالمر ديكستر، فحين كانت تنظر إليه قبل أن تتاح له فرصة الاشاحة بوجهه، كانت تلمح الحذر في عينيه، ولم تكن تدري لهذا سبباً.. هل هو من يدّعي حقاً؟ ربما يجب أن

تتصل بأبيها لتسأله عنه.. فليس لديها إلا كلامه.

استلمت السيارة المستأجرة، واشترت بضعة أرغف طازجة، وعادت إلى القيلا فوجدت مارشا مستيقظة تبدو في غاية النشاط في سروالها الأصفر وقميصها المناسب، أما كال فوجدته برفقة مارشا يحتسي القهوة وتعبير التسلية المرحة على وجهه. كان قد غيّر ملابس الرياضة، وارتدى جينزاً رمادياً وقميصاً حريرياً أسود... لقد جعل هذه الثياب العادية تبدو قمة في الأناقة، أما هي فبدت لنفسها مغبرة، قبيحة بسروالها الأزرق القصير، والتي شيرت. لوّحت لمارشا تقول:

ـ مرحباً! أحضرت السيارة؟ ما نوعها؟

ـ رينو..

ونظرت إلى كالمر ببرود:

ـ ستكون سيارتك جاهزة غداً صباحاً.. أليست أخباراً جيدة؟ ستتمكن من الرحيل.

تجهم وجه مارشا:

ـ حسناً.. سنفكر في هذا الأمر غداً. احزري ماذا حدث؟ عرض كال أن يصحبنا للغداء في مطعم قيلا ميديتشي! الذي حلمت بالذهاب إليه دائماً. من المفترض أن يكون مكاناً رائعاً. يقول كال إن الطعام هناك وكأنه من غير هذا العالم.

ردت ويلو بجفاء محدقة إليه:

ـ وكذلك حال أسعاره.

إذن فهو يرتاد ميديتشي دائماً.. أليس كذلك؟ كانت قد زارت المكان مرة أو مرتين مع أبيها، وتعرف أن العشاء هناك ربما يكلف أكثر مما دفعه من إيجار للقيلا في أسبوع. إذن، إن كان قادراً

على تحمل نفقات ذاك المكان فلماذا لا يرحل ليتخذ لنفسه مكاناً آخر يمضي فيه عطلته؟ أهو جسد مارشا المثير ما يستبقيه؟

أحست بمزيد من الريبة عندما التقت عيناها عينيه اللتين أسرع يخفضهما بسرعة ليخفيهما عنها. إلام يسعى؟ لماذا هو مصمم على البقاء هنا؟ إنه يراقبها الآن وفي لون عينيه الفضي قلق يريد إخفاءه عنها. لقد أحست ليلة أمس أنه ينظر إليها أكثر مما ينظر إلى مارشا، ولقد أوهمت نفسها بأنها تتخيل. ما من رجل ينظر إليها بوجود مارشا، ولكنه رغم ذلك كان يتمتع بالعبث مع مارشا كلما سنحت له الفرصة، فلقد ضبطته ويلو أكثر من مرة ينظر إليها بطرف عينيه، لكنه كان يبعد نظره بسرعة.. كان دائم الاهتمام بها، وهذا ما تأكدت منه. ولكن ما كان يحيرها هو سبب اهتمامه بها.. لم يكن الأمر مجرد جاذبية ولم يكن يحاول أن يجذبها. بل أراد فقط أن ينظر إليها وهي لا تشعر به وبنظراته وكأنه يكره أن تلاحظ اهتمامه بها.

أهذا وليد مخيلتها فقط؟ أم أنه موجود هنا لسبب شرير؟ والدها ثري ومن السهل التفكير في اختطافها.

سألت مارشا فجأة والحيرة بادية عليها.

ـ ألا تظنين أن الفكرة رائعة؟

تمالكت ويلو نفسها ترد:

ـ أجل.. رائعة. إنما يجب أن أغير ملابسي إن كنا سنتعشى في فيلا ميديتشي.. فلن يسمحوا لي بالدخول وأنا مرتدية ما أرتديه الآن.

عندما كانت تلج الباب شعرت بنظرات كالمر إليها. كان ينظر إليها وكأنه يدرك ما يجول في رأسها من أسئلة. نظرت إلى نفسها في مرآة غرفتها مقطبة.. اختطاف؟ أيكون هذا ما يدفعه إلى البقاء؟

بالطبع لا... هذا استنتاج بعيد الاحتمال. إنها تترك لمخيلتها العنان. أليس كذلك؟

* * *

٣ ـ عناق الفراشات

حدقت مارشا من بين أشجار الصنوبر إلى البحر الأزرق ووجهها مليء بالنشوة:

ـ اقرصيني!

كان فندق ڤيلا ميديتشي عالماً ملوكياً فخماً صغيراً بحد ذاته، معزولاً داخل أرض مكتظة بالخمائل تصل إلى شاطىء خاص على ساحل صخري. كان الضيوف مرتدين لباساً أبيض يلعبون التنس في مكان ليس ببعيد، ومن هناك كانت تتناهى أصوات ضحكاتهم، وكان في الوقت نفسه يُسمع خرير المياه كلما غطس بعضهم في المسبح. النزلاء أثرياء بشكل واضح، تصرفاتهم رائعة كملابسهم، وهي تظهرهم أناساً لا يشكل المال عندهم مشكلة..

سحبت نفساً عميقاً، وقد تألقت ابتهاجاً.

سأل كالمر وعيناه تلمعان حبوراً وهما مركزتان على ويلو:

ـ ماذا تشربان؟

لم يكن يضحك من مارشا، ولكن فمه كان متكاسلاً بتسامح، وكأنما اهتياجها يسليه. فردت ويلو:

ـ مياه غازية.

أحنى الساقي رأسه، ثم انحنى ليسمع ما تمتمت به مارشا، فقد كانت أكثر ذهولاً من أن تنطق بوضوح. فهذا المكان يبعد ملايين السنوات الضوئية عن محلهما الصغير الشحيح الإضاءة الضاج

بموسيقى (البوب) المتصاعدة من مكبرات الصوت. كان للمحل جو الديسكو الليلي، وهذا أمر متعمد. فمعظم زبائنهم من المراهقات. كانت مارشا تهيم في السماء منفعلة انفعالاً أعجزها عن الكلام مع ويلو أو مع كالمر، فقد انشغلت بالنظر إلى ما حولها من مشاهير.

لاحظت ويلو الابتسامة التي رماها الساقي إلى كالمر ديكستر أثناء ابتعاده والغريب أنه لم يسأله عما يريد أن يشرب، فسألته بلهجة ساخرة:

ـ تأتي إلى هنا كثيراً؟

إنها متأكدة من هذا، فالساقي لم يكن بحاجة إلى أن يسأله عما يريد، فهو يعرف ما يريده تماماً منذ مدة بعيدة. نظر إليها كال مفكراً:

ـ جئت إلى هنا مرات عديدة.

نظرت إليه بعينين توحيان بأنه لم يخدعها بكلامه:

ـ هذا ما اعتقدته.

ترك كال عينيه تطوفان حولها، فصرّت على أسنانها غيظاً بسبب الطريقة التي يحدجها بها. كانت مارشا قد ارتدت أفضل ما عندها للمناسبة: ثوباً أبيض حريرياً مشدوداً فوق الصدر ومثبتاً بفراشة ذهبية صغيرة، أما ويلو فلم تهتم كثيراً بثيابها، بل ارتدت بلوزة عاجية وتنورة زرقاء جميلة، فبدت انكليزية محتشمة هادئة باردة، لكن عينيه الساخرتين جعلتاها ترتبك.

قالت مارشا وهي تنظر إلى امرأة ترتدي ثوباً حريرياً:

ـ انظري إلى ذلك الفستان.. إنه باريسي، أراهن على هذا. ألا تعلمين لو نبيع ثياباً كهذه ويلو؟

ردت ويلو مدافعة أمام كالمر الذي لم يظهر الاهتمام بالمرأة أو

بفستانها، بل بها، إذ كانت عيناه تصبان اهتمامه عليها وحدها فقط.

ـ لا بأس بما نبيع.

سألها والساقي يقدم لهم المشروبات:

ـ ألم تفكري قط في الظهور على المسرح؟

ردت متضايقة: «لا»

إنها آخر مهنة قد تختارها، فلن تتبع خطى أبيها أبداً، وأقله إلى المسرح، سمعته يقول:

ـ لك وجه معبر، وأظنك خُلقتِ لمهنة التمثيل. صوتك غير عادي، له طبقة فريدة.

ردت باشمئزاز قوي:

ـ شكراً لك.

فضحك: «ألا تحبين التحدث عن نفسك؟ غريب! إن معظم النساء يحببن ذلك!»

ـ أنا لست كمعظم النساء!

حدقت عيناه إلى عينيها مباشرة، فأحست بإحساس غريب، بإحساس المصاب بالدوار. سألها بصوت منخفض:

ـ ماذا عندك ضد المسرح؟

قاومت ويلو لتحرر عينيها من عينيه المغناطيسيتَيْ التأثير، وأشاحت بوجهها مقطوعة الأنفاس، ثم التقطت كوب شرابها فخفّف إمساكها به من خوفها، لكن لماذا يجعلها كالمر ديكستر تحس وكأنها تسير على حافة جرف صخري.. إنها لا تدري.

قالت مارشا بحبور، وقد أحست فجأة بحديثهما الهادىء يعدما تلاشى ذهولها:

ـ حسناً.. تعرف كيف هو والدها! ولا أظنها تحب أن تخطو خطاه!

نظرت ويلو إليها، تقول لها بصمت أن تصمت. فاحمرَّ وجه مارشا بالاعتذار.. كان صوت كالمر خفيفاً لكن التظاهر بالتساؤل العفوي لم يخدع ويلو.

ـ ألست على وفاق مع أبيك؟

أشاحت بوجهها عنه دون أن ترد، فرأت امرأة مرتدية ثوباً باريسياً تتقدم إليهم، وعيناها مثبتتان على كالمر.. قالت بمكر متعمد:

ـ أظن أن أحدهم تعرّف إليك.

شاهدت رأسه الأسود الشعر يرتدّ وفي عينيه نظرة ذعر... هل أخطأت، أم الانزعاج بدا فعلاً على وجهه؟

ـ كال... حبيبي... عرفت أنك أنت!

تناهى صوت القادمة كهرير القطة، فهبَّ واقفاً قبلها، لكن ويلو لاحظت أن وقوفه جاء على مضض إنما لم يكن هذا ما ظهر على المرأة، التي ابتسمت تتابع كلامها:

ـ هل مضى عليك زمن طويل في إيطاليا؟ لماذا لم تتصل بي؟ إنه عبث منك أن تأتي إلى هنا دون أن تتصل بي! لكنت أقمت حفلة لك هل بينا معك؟

رد ببرود:

ـ لا.

بدا الاهتمام على الشقراء، وازدادت ابتسامتها اتساعاً.

ـ حقاً..؟ لا تقل لي إنكما لم تعودا معاً؟ سمعت بعض الشائعات، لكنني لم أصدقها. ما الذي حدث؟

هز كتفيه، وقال بسرعة:

ـ كيف حال شارل؟ أما زال ناجحاً مع القوارب؟ لم أره منذ أجيال.. بلغيه تحياتي.. وماذا عن الصغيرين؟ إنهما دون شك كبيران الآن.. جان أصبح في الثامنة الآن، أليس كذلك؟

ـ بل في التاسعة.

كانت الشقراء نحيلة وشديدة الاسمرار، ملامحها تشير إلى أنها أكبر سناً مما تحاول أن تبدو. شعرها مصبوغ، وحاجباها السوداوان خير دليل على هذا، وجانبا فمها تكثر فيهما خطوط ضحك عميقة.. كانت مارشا تراقب ما يجري بحدة شوقاً إلى أن يعرّفهما كالمر، لكن ويلو كانت هادئة لأنها تعرف أن هذا آخر ما قد يُقدم عليه دون أن تفهم سبب ثقتها هذه.

قال كالمر:

ـ ما أروع أن أراك. سأتصل بك قريباً.

نظرت الشقراء إلى الفتاتين، وقد اتسعت عيناها وقالت:

ـ لا تنسَ إذن.

ابتسمت له، ثم ابتعدت إلى مجموعتها.. فجلس كالمر، أما مارشا فتنهدت خائبة الأمل:

ـ إنها فاتنة.. أهي ممثلة؟ هل عملت معها؟

ـ إنها زوجة صديقي. أتطلب لائحة الطعام أم تفضلان مزيداً من الشراب؟ أم نطلب الاثنين معاً؟

لم يبدُ على عجلة في اختيار الطعام ولاحظت أن كالمر ينظر إلى ساعته بين الحين والآخر، ثم يتطلع حوله. عندما جاء رئيس السقاة، اختارت ويلو طبق لحم البط، فأسرع يجادلها:

ـ إذا أردت لحم البط فعليك أولاً بطبق الفندق الشهير.. فالصلصة التي يقدمونها معه لذيذة.

ـ لا شكراً.. سأتناول بعدها البطيخ.

لكن مارشا قالت بشوق إنها ستتناول ذلك الطبق وسألت بسعادة:

ـ ما هو؟

بدت عليها الإثارة حين عرفت أنه نوع صغير من الكركند.. ثم همست لويلو:

ـ هاي.. أتذكرين مطعم الهمبرغر الذي تناولنا العشاء فيه قبل أن نسافر؟ يا لهما من عالمين مختلفين. أليس المكان رائعاً هنا؟

سمعتا كالمر بدهشة مرتفعة:

ـ يا الله.. هذا أنطوان كورناي!

جلست مارشا مستقيمة، عيناها تطيران في أنحاء المكان بحثاً عن الرجل الذي كان اسمه مألوفاً شيئاً ما.. قطبت ويلو عندما رأت الشاب النحيف البنية في بذلة بيضاء وربطة عنق زرقاء رمادية يجيل ناظريه في المكان وكأنه يفتش عن أحد... قالت مارشا من بين أنفاسها:

ـ إنه هو!

سألتها ويلو وقد ساورها الشك مع وقوف كالمر:

ـ من؟

لوّح كالمر بيده، أما مارشا فردت:

ـ أنطوان كورناي، نجم «البوب».. نجم فرنسي لم يبلغ القمة في إنكلترا، ولكنني شاهدته في التلفزيون في حفلة غناء أوروبية متلفزة.. أتذكرين.. إنه يغني تلك الأغنية العظيمة.. أوه.. إنه قادم نحونا.. إنه أجمل مما رأيته على التلفاز. بدا شاحباً، أليس أسمر؟ يا له من محظوظ!

نظرت إلى كالمر بعينين متسعتين وأردفت:

ـ أتعرفه؟

لا بد أنه يعرفه!.. قال كالمر:

ـ مرحباً أنطوان.

أجاب القادم بفرنسية سريعة لم تفهمها ويلو، مع إنها متيقنة من

أنها كلمات اعتذار. . هز كالمر كتفيه وربت على كتف الشاب مشيراً إلى كرسي رابع على طاولتهم وقال يسأل الفتاتين:

ـ هل تعترضان على وجود أنطوان معنا؟

كان ينظر إلى مارشا التي تطايرت الإثارة منها، ولكن ويلو ظلت هادئة تاركة لمارشا مجالاً للرد:

ـ لا. . أبداً!

لم تكن مارشا ممن يضيع الوقت في لعبة التظاهر. . نظرت إلى وجه أنطوان الجميل بإعجاب بارز. . إنه شهير وهي تحترم الشهرة. . وكأنما شهرته هالة مرئية فوق رأسه بالنسبة لمارشا التي لم تكن يوماً منافقة أو متكبرة، أو منيعة ضد وسامة الرجال، خاصة المشهورين منهم.

بعد التعارف جاء الساقي فطلب أنطوان عصير الطماطم. كان شعره أسود وعيناه أيضاً، أما بشرته فسمراء ساحرة.

ـ هل أنت مقيم هنا؟

هز كتفيه تواضعاً:

ـ إنه فندق عظيم. . أليس كذلك؟

كان ينظر إلى كال، فلاحظت ويلو وميض تحذير في عيني كال مما دفع أنطوان إلى الاسترسال في وصف فظاعة زحام السير.

ـ على الأقل يمكن للمرء أن ينسى هذا وهو هنا، في حدائق قيلا ميديتشي.

لم يكن في مظهر أنطوان ما يدل على مجيئه صدفة فارتابت ويلو في أن كالمر هو من دعاه. لا بد أنه اتصل به هاتفياً أثناء رياضته الصباحية وهذا يفسر عدم استعجاله في طلب العشاء. . . لكن. . . لماذا لم يقل لهما إنه دعا شخصاً للانضمام إليهم.

قالت مارشا:

ـ شاهدتك في احتفال الأغنية الأوروبية.

وبدا متواضعاً ثانية. . كان يُظهر تواضعه بنجاح، له ابتسامة مميزة تلازم هزة كتف خفيفة. لقد اختارت مارشا حديثاً شيقاً مفضلاً عند أنطوان وهو الحديث عن نفسه، فاستدار في مقعده مبتسماً وأكمل الموضوع، تشجعه أسئلة مارشا المبهورة المتعلقة بعمله وبالمكان الذي جاء منه وبأصدقائه، وموسيقاه. . . نظرت ويلو إلى كالمر تتساءل عن شعوره تجاه انشغاله بمارشا، وهو ما دعاه إلا ليشغل ويلو هي. ولكن إن كان غير راضٍ عن هذا، فلا دليل يظهر عليه.

سألها كالمر وكأنه فعلاً مهتم بما يسأل:

ـ متى بدأتما تديران محل الألبسة؟

فيما كانت ترد راح ينظر إليها مرتشفاً شرابه ببطء. . إنه موضوع آمن. . لكنها تشك في أن يكون مهتماً كما يظهر، لكنها أكملت الحديث عن المحل برهة تجنباً للصمت.

ـ هل ساعدك والدك بالتمويل؟

انتفضت بجفاء:

ـ لا. . ورثت بعض المال عن جدي لأمي. لقد كان الإرث مفيداً ولكنني افتقدت جدي، فقد كان رجلاً عجوزاً محباً. كنا نناديه (الغندور) لأنه كان يحب ارتداء الثياب الأنيقة حتى وهو في الثمانين.

توقفت فجأة، فقد أحست باهتمامه الحقيقي الآن. . . لماذا هو فضولي إلى هذا الحد بشأن عائلتها؟ إنه يسأل عنهم دائماً. . ابتسمت له بتوتر، ثم تساءلت لماذا يسأل دائماً ولا يقول شيئاً:

ـ ومن هي بيتا؟

رأت عضلات وجهه تشتد. . فتناول كأسه ببطء، واحتسى آخر

ما فيه من شراب، ثم قال بعد وقت من التفكير:

ـ صديقة قديمة.

ـ تقصد حباً قديماً بالطبع.

جعلته سخريتها ينظر إليها بحدة.. لكن في تلك اللحظة أتى الساقي ببلغهم أن مائدتهم جاهزة... تباطأت ويلو في الوقوف متوقعة أن يستغل كال الفرصة ليرافق مارشا، لكن أنطوان رافقها وهما ما زالا يتكلمان، أما كال فابتسم ساخراً وهو يشير إليها أن تتقدم معه... ما هي لعبته؟ لماذا يتعمد إبعادها عن مارشا مستأثراً بها لنفسه؟

كان كالمر يراقبها، وكأنه يحاول فهمها.

ـ لديك تركيبة رائعة.

أشاحت بوجهها كيلا يرى سوى صفحة وجهها الصغير وذقنها المتحدي وشفتيها المضمومتين وعقدة شعرها الأسود. وصل رأسها إلي حدود كتفه، فوجدت طوله مثيراً للاضطراب، ووتّرها جمال طلته. إنه دون شك كان يرى العالم من زاوية مختلفة عن زاويتها.. فالوسيمون من الناس معتادون على الابتسامات وتلقي الاهتمام. وكان على ويلو أن تقاوم للحصول على جيهتها الخاصة، وإحساسها الخاص بنفسها.. حين يضطر المرء للمقاومة هكذا، يحتاج إلى روح قتالية وعليه أن يستخدم طبيعته العدوانية، وعناده، ليتماسك ويثبت على ما يريد.

سألها خلال الغداء، وكان السؤال سؤالاً من سلسلة أسئلة تمكنت حتى الآن من تجنب الرد المباشر عليها:

ـ كيف هو شقيقك؟

ـ مظهراً؟ أوه.. إنه طويل، عريض، بني الشعر، جسده جميل وقوي وعيناه لوزيتان.

تعمدت الإجابة ببساطة فسأل:

ـ أنتما اثنان فقط.. أليس لوالدك أولاد أكثر؟

سؤال غريب؟ فنظرت إليه نظرة فضولية:

ـ أجل.. ليس هنا سوانا.

ـ وماذا عن شقيقك؟ ألا يحب المسرح كذلك؟

ـ لا.. إنه يعمل في مجال الإعلانات وهو ناجح فيه.

التفتت تواجهه بجرأة:

ـ ثمة شيء تود معرفته عن عائلتي؟

السؤال المباشر الجريء لم يؤثر فيه، بل ابتسم:

ـ عائلتك تثير إعجابي.. ما إحساس ابن أو ابنة من يكون والده شهيراً؟

ـ لا تطرح أسئلة لا يمكن الرد عليها. (تمتمت)

ارتشفت رشفة من شرابها. كانت قد بدأت تجد صعوبة في المحافظة على برودها، فهو يدأب على دفعها إلى الإجابة عن أشياء لم تخبرها أحداً من قبل... تمنت لو تعرف لماذا يريد أن يعرف هذا كله عن عائلتها. تابع بإصرار:

ـ أتتمنين لو كان لك أب مختلف؟

التفتت إليه بغضب وعيناها تتطايران شرراً، لكنه مدَّ يده يمسك يدها، ولفَّ أصابعه حول أصابعها، ثم أحست بأطراف أصابعه تمران على يدها، ومال نحوها مبتسماً.

ـ لا تفعل!

ظنته هنيهة مقدماً على تقبيلها ولكنها راقبت حاجبيه البنيين يرتفعان تعجباً:

ـ لا أفعل.. ماذا؟

بدا عليها الارتباك فسحبت يدها من يده لتمسك بكوبها وتحتسي

منه جرعة... إن ما يجري خطأ.. كانت تشعر بخفة في رأسها وكأنها تطير عالياً، وهي في حاجة إلى ما ترميه مرساة لها.. سارعت إلى التمسك بطرف الطاولة.

كانت مارشا تضحك كثيراً، لقد احتكرها أنطوان طوال الغداء، ولكن حديثهما الدؤوب كان نقيض دورة الأسئلة والأجوبة الجارية بين كال وويلو.. كانت ويلو بين الحين والآخر تشارك في حديثهما عن إيطاليا وعن موسيقى البوب، وعن نجوم السينما، والإبحار، وكل ما كان يطوف في رأس مارشا.

أثناء احتساء القهوة، مالت مارشا تقول لويلو بحماس:

ـ ويلو.. يملك أنطوان مركباً شراعياً سيصحبنا به إلى عرض البحر بعد الغداء! أليس هذا عظيماً؟

ابتلعت ويلو لعابها فزعاً:

ـ أوه.. أنا آسفة، لا أستطيع الإبحار الآن لأنني أصاب بالدوار إذا أبحرت بعد وجبة طعام ثقيلة.

تجهم وجه مارشا:

ـ أوه لا تفسدي علينا جلستنا ويلو!

تدخل أنطوان:

ـ لن تصابي بالدوار في مركبي، إنه خفيف.

قالت مارشا بصوت محبط:

ـ أموت شوقاً للإبحار. كان أنطوان سيبحر بنا حتى نشرف على الساحل الفرنسي.

أحست ويلو فجأة بالبرد، كما أحست بعيني كال تراقبانها، فنظرت إليه بسرعة. لكنه أشاح وجهه الذي كانت تعابيره عادية. قال يحاول إقناعها:

ـ اليوم رائع للإبحار.. البحر هادىء. لذا لا يمكن أن تصابي

بدوار في يوم كهذا.. أيمكن أن تصاب بالدوار أنطوان؟

ـ مستحيل! كما أننا سنبحر ببطء.

ابتسم لها بإغراء، لكنها التقطت النظرة السريعة التي تبادلها مع كالمر، ولاحظت توتر عضلات وجه كالمر.

إنهما يريدانها أن تبحر معهما في مركب أنطوان. لماذا؟ وجدت ويلو صعوبة في التفكير.. كان شيء غريزي يحذرها من الموافقة.. لن يصحبها كالمر ديكستر إلى الساحل الفرنسي، وإذا كانت هذه خطته فلينسها.

رفعت يدها إلى فمها تغطيه من التثاؤب:

ـ آسفة.. أود النوم بعد هذا الغداء الضخم.. أحسّ بالنعاس وعليّ العودة إلى الڤيلا.

توسلت مارشا: «لا أستطيع الذهاب وحدي».

سألها أنطوان متظاهراً بالألم:

ـ ألا تثقين بي؟

ـ لا تكن سخيفاً.. الأمر ليس هكذا.. لكن ليس معنا سوى سيارة واحدة، وإذا أرادت ويلو العودة إلى الڤيلا فأنا مضطرة للعودة معها.

ـ سأصحبك للإبحار ثم أقلّك بسيارتي. موافقة؟ ثم بإمكان كال وويلو أن يفعلا ما يشاءان فنحن لا نحتاج إليهما.

ابتسم لكال:

ـ اتفقنا.. أليس كذلك؟

رد كال: «أجل».

قطبت ويلو، لقد وقعت في الفخ على غير انتباه منها. فتحت فمها لتقول: هاي.. انتظروا لحظة! فليس هذا ما تريده... لا تريد أن تجد نفسها وحيدة في الڤيلا مع كالمر ديكستر.. كانت تريد فقط

liilas
rayqh

أن تتأكد من أنه لن يضعها على المركب ويتجه بها إلى فرنسا. كانت متأكدة أن هذا ما هو مقدم عليه، لكنها الآن حائرة. أيسلك طريق أخرى طبخها سلفاً مع أنطوان؟ لكن سبقها إلى القول وهو يقف:

ـ حسناً، سنذهب الآن.. فمن المؤسف أن نخسر طقساً كهذا. أراك فيما بعد كال. امرح.

قالت مارشا:

ـ باي ويلو... نامي جيداً!

واختفت قبل أن تتمكن ويلو من التفكير في ما يجب أن تفعل. وسرعان ما دارت في مقعدها وقد اتخذت رأياً.

ـ مارشا!

لكن يدها صدمت كوب العصير الذي اندلق فشهقت ذعراً، وقالت متأوهة:

ـ أوه.. آسفة.

راقبت الساقي يسرع لرفع الكأس وتنظيف الشراب، ولكنها التفتت إلى كالمر تقول بصوت متهدج:

ـ آسفة.

جالت بناظريها بحثاً عن مارشا.. لكن مارشا كانت قد رحلت، فقالت تكلم نفسها:

ـ أوه.. تباً.

فسألها بصوت ناعم عما بها، وأكمل:

ـ أتشعرين بتوعك؟ سأصحبك إلى القيلا فإلى الفراش.

ازداد تضرّج وجهها لأنها فهمت ماذا يقصد بكلماته.

سدّد الفاتورة، ثم اقتادها إلى خارج الفندق حيث سيارتها التي حين أصعدها إلى المقعد المحاذي لمقعد القيادة اعترضت، فقال لها إنها تعسى والنعاس لن يمكنها من القيادة، فتراجعت تسند رأسها إلى

مقعدها.. وأغمضت عينيها مفكرة.

كان الطقس حاراً جداً، وأحست بتشوش أفكارها. وما أن انطلقت السيارة مبتعدة حتى صفعها الهواء البارد على وجهها.. إنها مسافة بعيدة ستمهلها وقت للتفكير في ما يخطط له كالمر ديكستر، ولماذا.. ولكن، لسبب ما لم تستطع أن تركز. نظرت من بين أهدابها إليه. فرأته يقود السيارة شارد الذهن يحدق أمامه مباشرة ويده المديدة الأصابع تستقر على المقود، والأخرى تحرك جهاز السرعة. أحست بيده تلامس ساقها قبل أن يلتفت ناظراً إليها، فأسرعت تتظاهر بالنوم، لكن نبضاتها كانت تتسارع ضاربة نغماً متوحشاً داخل صدرها. تمنت ألا يرى الإثارة التي تحاول إخفاءها فعليها الحفاظ على الهدوء، ولكن يصعب عليها حين تكون مشتتة الذهن الهدوء.

لم تكن بحاجة للتظاهر بالنوم، فسرعان ما استسلمت فعلاً إلى نوم حقيقي.. لم تشعر بعد تلك الغفوة إلا بذراع تنسلّ بينها وبين قماش مقعد السيارة الدافىء. فتحركت وفتحت عينيها الناعستين، فوجدت وجه كال على مقربة من وجهها.

في تلك اللحظة استفاقت وأدركت أنه يحاول حملها إلى خارج السيارة... فتمتمت بسرعة:

ـ لقد استيقظت وسأسير.

كانت السيارة متوقفة خارج القيلا فلمحت سحلية خضراء صغيرة حول جذع دالية. قال لها كال:

ـ كما تشائين.

أنزلها فوق الممر المرصوف، فتهادت ثم استقامت. بعد ذلك سارت متهاوية نحو الباب الأمامي لتفتحه. كانت الردهة الباردة الظليلة منعشة. دخلت إليها وعيناها نصف مغمضتين تحاول الاستيقاظ وتذكّر ما كان يقلقها حين غادرت الفندق.. لقد ذهبت

مارشا مع أنطوان. وهي الآن وحيدة مع كال.. وهذا مبعث قلق يكفيها الآن.. التفتت تنظر إليه. ها هي شمس المغيب تلمع على شعره الأسود الكثيف.. وتقلصت معدتها.. يا إلهي، إنه فعلاً وسيم وأعادت النظر إلى بشرته الناعمة وإلى هاتين العينين الرماديتين وإلى ذلك الفم القاسي الدافىء.

سمعته يسأل:

ـ أيمكنك الصعود وحدك أم أحملك؟

اختبرت تهوراً بالترنّح لتسقط بين ذراعيه لكنها قالت تخطو بحدة إلى الدرج.

ـ أنا بخير.

ـ احترسي، وتذكري أنه ليس للدرج درابزين.

مدت يدها تتكىء إلى الحائط الذي كان وراءها تماماً ولكنها أحست بيده على خصرها، تثبت خطاها.. فجأة أدارها نحوه فشهقت وترنّحت ثم رماها فوق كتفه وكأنها كيس بطاطا، وحملها إلى غرفتها.

ما هي إلا لحظات حتى كانت متمددة على السرير فأغمضت عينيها وقلبها يخفق بعنف وهي تقول:

ـ أشعر..

ثم تلاشت الكلمات عن شفتيها عندما جلس قربها. فقالت وقد أحست بيده تلامسها:

ـ ماذا تفعل؟

رأته يميل فوقها، فأحست بالانجذاب إليه بطريقة لا تريدها.. نظر إلى عينيها فتأوهت باحتجاج ولكنها لم تبعد عينيها عن العينين الفضيتين وعن بؤبؤيهما الأسودين الكبيرين. سألته بخشونة:

ـ إلام تسعى؟

إن في رأسه دون ريب مؤامرة من نوع ما. ما أغباها! كان من الممكن أن تجد نفسها في فرنسا لو وافقت على الإبحار مع أنطوان في مركبه.. كم كانا سيطلبان من فدية؟ وهل آدم سيوافق على دفعها؟ تساءلت كم تساوي عند أبيها أو أي إنسان آخر؟ سألها كال رداً على سؤالها بسخرية:

ـ هل هذا سؤال جاد؟

ـ أنا جادة فيما يتعلق بك.. وأظنني أعرف ما تدبر ولكن اعلم أنك تهدر وقتك. آدم لن يدفع ربع بنس لأجلي، بل قد لا يعرف عمن تتكلم حين تقول له إنك حصلت عليّ.

سألها ببطء: «فدية؟».

ـ لا تدعي أنك لا تعرف عما أتكلم! لم تخدعني! لكنك تخدع نفسك إن ظننت أن أبي قد يدفع شيئاً في سبيل استعادتي.

سألها بصوت منخفض:

ـ أنت لا تحبين أباك كثيراً.. أليس كذلك؟

ـ أتعرف.. مآربك واضحة.

مالت تتناول غطاء السرير تلفّ به نفسها. ما إن فعلت حتى مدّ كال يده إلى ذراعها فأحست بأصابعه على كتفها والمؤسف أن لمسة يده فعلت الكثير بدقات قلبها، وهذا ما جعلها تنفجر غضباً:

ـ لقد دفعت أنطوان للظهور فجأة وقت الغداء.. ثم تبين أن لديه مركباً يريد أن يصحبنا به وصولاً إلى الساحل الفرنسي! إنها تصرفات خبيثة، أليست كذلك؟

ـ ألن يهتم والدك بمن يخطفك؟

ـ أبي لا يهتم إلا بشخص واحد في عالمه!

ـ تكرهينه.. أليس كذلك؟

بدا على مارشا الارتباك.. كيف أخذ الحديث هذا المنحى

مجدداً؟ لم ينكر كال اتهاماتها بل حوّل الحوار ببساطة إلى سبيل أصبح مألوفاً لديها. إنه لجوج يكاد يدفعها إلى الجنون. هزت رأسها بعنف وكأنها تود أن تبعده عن رأسها، ثم أدركت أن يده ما زالت تمر على كتفها بنعومة، فنظرت إليها شزراً من فوق أنفها.

ـ توقف عن هذا.

ابتسم ساخراً ثم أنزل يده إلى عنقها فشهقت وارتجفت أنفاسها. قالت بخشونة:

ـ أنت لا تغازلني.. لذلك أبعد يديك عني.

لوّحت بإصبعها أمام أنفه مكررة:

ـ أنت لن تطارحني الغرام!

عضّ إصبعها، فصاحت، لكنه قال بنعومة:

ـ لا تدفعيني إلى التفكير في هذه الأمور، لأنها غير موجودة.

أحست بأن داخلها قد غاص.

ـ لا؟

ألا يفكر في ما ظنت؟ منذ أن وضعها في الفراش وهي تنتظر وقلبها يتسارع أن تكتشف ما هو الإحساس عندما يعانقها. لن يكون هذا العناق كأي عناق اختبرته من قبل، إنها متأكدة من ذلك.. ولكن من يعلم ما قد يحدث؟ قد تميد الأرض وينتهي العالم، وقد تسمع عزف الغيثارة وترى قوس قزح.

تمتم كال:

ـ إذا كنت مصرة.

انحنى، وكان بإمكانها أن تدفعه عنها، فهي تفضل الموت على تركه يعانقها. أجل باستطاعتها منعه، لكنها لم تمنعه. بل عقدت ذراعيها حول عنقه، وأغمضت عينيها، فأتى عناقه دافئاً، مدغدغاً، وكأنه لمس الفراشات. أحست بذراعيه تلفانها، إحداهما على ظهرها

والأخرى تتلاعب بشعرها، كان عناقهما بطيئاً عميقاً لكنه ألهب مشاعرها.

حرك كال خده على خدها حتى أصبح فمه قرب أذنها وهمس:

ـ أنا غير متردد. لكن إغواء فتاة ساذجة لعبة لا ألعبها.. أنت لا تعرفين ماذا تفعلين.. أليس كذلك؟

بلى.. طبعاً أعرف.. لا تتوقف.. كادت الكلمات تخرج منها.. لكن غريزة مستترة بتحفظ في أعماقها أبقتها صامتة. ابتعد كال تاركاً إياها تشعر بالهدوء والإحباط.

قال يتجنب النظر إليها:

ـ عليك أن تنامي وتفكري في الأمر.

ترك الغرفة بهدوء فتأوهت عاضة شفتها.. أغمضت عينيها تفكر كيف كانت يده تضمها. لم تكن قبل الآن تفهم لماذا تصبح النساء مجنونات أمام الرجال الذين يعاملونهن بسوء. ولم تفهم قط ولاء أمها الصامت نحو أبيها. كانت الرغبة بالنسبة لها مجرد كلمة فقط، لكنها الآن عرفت ما تعنيه هذه الكلمة فتلوّت متقلبة على الفراش تشتاق إلى ذلك الإحساس الجديد الذي اكتشفته لتوّها.

* * *

٤ ـ همسات الخطر

أيقظ القمر ويلو، فقد تسلل نوره الأبيض الواهن من بين أهدابها فوصل إلى أحلامها. تململت متثائبة ثم جلست تحس برأسها يضجُّ ثقيلاً، فتألمت (أوه!) ورفعت يدها إلى جبهتها مرتبكة لحظات. قالت للقمر الذي كان يشعّ مباشرة من نافذتها: يا للفظاعة! لماذا لم أقفل مصراعي النافذة؟ ثم فجأة عبست، لقد تذكرت فاجتاح الرعب وجهها.

كادت تقع من السرير وهي تسرع إلى المرآة تنظر إلى صورتها. كيف تبدو؟ ثيابها مشعثة.. تبدو فعلاً مشعثة... فكرت بكلمة أخرى تصف حالتها ولكنها أقفلت فمها، والتقطت روبها قبل أن تتوجه إلى الحمام طلباً للصحو.

أثناء توجهها إلى الحمام راحت تتذكر مذعورة ما قالته له؟ أووه.. لا!.. أووه.. لا! ماذا فعلت؟ وعادت تتأوه (أوه.. لا!).. فتحت الحنفية ثم وقفت تحت الماء الذي تركته ينسلّ بتلذذ مؤلم. فراح يجري عليها بارداً كالثلج، يخزها كأبر.

كيف ستواجهه مرة أخرى؟ يجب أن ترحل.. ستوضب حقائبها الآن، وتخرج من الفيلا قبل أن يستيقظ.. خرجت من تحت الماء ثم راحت تجفف نفسها بأصابع غاضبة تعاقب بها نفسها، ولم تلبث أن ارتدت جينزاً يشبه ما يرتديه العمال، وبلوزة قطنية بيضاء. ثم فتحت بابها تصغي فإذا بالمنزل صامت.. إنها تحتاج إلى التفكير. تحتاج

إلى قهوة مرّة قوية، فانسلت تهبط الدرج بخفة وساعدها على ذلك حذاءها المطاطي النعل الذي لم يكن يصدر صوتاً ودخلت المطبخ، لكنها توقفت دهشة حين شاهدت النور مضاءً في داخله. فغرت فمها دهشة كالبلهاء ولكن لم يكن الموجود في الداخل كالمر بل مارشا التي كانت تجلس إلى الطاولة تشرب القهوة وتتثاءب.

ـ مرحباً! (قالت لها بحبور).

أقفلت ويلو الباب ونظرت إلى مارشا بنفاذ صبر:

ـ الساعة الرابعة صباحاً.. ماذا كنت تفعلين طوال الليل؟

ـ صحبني أنطوان إلى مطعم تعشينا فيه، ثم ذهبنا إلى الكازينو، ولم أستطع ترك الكازينو لأنني كنت أربح. انظري...

أخرجت حفنة من الليرات من حقيبة يدها ثم رمته على الطاولة تضحك:

ـ ربحت من الليرات ما يقارب المائتي جنيه.. أليس الأمر رائعاً؟

ـ أيتها الحمقاء! لا يمكنك تحمل المقامرة! ماذا لو خسرت؟

جلست ويلو تصبّ فنجان قهوة لنفسها، فتساءلت الآن ما إذا كان نور القمر قد أيقظها أم صوت دخول مارشا إلى المنزل.. قالت مارشا متذمرة:

ـ مفسدة اللذات!

ـ أنت حمقاء.

ـ لا. لست حمقاء.. كنا نحتفل، فهذه أول زيارة أقوم بها إلى كازينو. ولقد أفلست البنك!

ـ لن يفتقدوا مبلغاً كالذي ربحته.. ألست متعبة؟

مالت إليها تقول بحدة:

ـ لا تفسدي يومي.. لقد عشت ليلة من ليالي العمر. أبحرنا وركبنا أجمل سيارة رأيتها في حياتي ثم تعشينا، وتناولنا الكافيار،

وبعد الكافيار رحت أقامر فكسبت لذا لن أسمح بأن تكوني أنت الغيمة السوداء في حياتي، فاذهبي وامطري في مكان آخر.

وقفت بكبرياء، واتجهت نحو الباب بسرعة وتهور حتى كادت تتعثر، وعندما وصلت إلى الباب أمسكت بالمقبض، والتفتت إلى ويلو:

ـ تصبحين... على خير.

ضحكت ويلو:

ـ حمقاء!

أقفلت الباب، ثم فتحته مجدداً لتلتقط النقود عن الطاولة وتدسها مجدداً في حقيبة يدها قبل أن تغادر. أزالت ويلو حاجيات القهوة عن الطاولة وهي عابسة.. فمارشا تخرج من مشكلة مع رجل لتزجّ نفسها في أخرى، ومآسيها جميعاً من فصل واحد، وها هي الأعراض تظهر مجدداً أمام ويلو.. إذا بقي أنطوان قريباً، فستجن مارشا به.. ولأنها متأكدة أن ظهور أنطوان تدبير قام به كالمر، فقد ارتابت في أن يغيب عن المسرح قريباً.

أطفأت ضوء المطبخ وراحت تتأمل السماء التي رحل عنها القمر تاركاً المجال للنور البارد الذي يسبق شروق الشمس.. أخذت الطيور تتحرك تخبر بعضها بعضاً أن الصبح قد أسفر... تثرثر وتتحرك بين أشجار الصنوبر والسرو وأغصان الزيتون الفضية المتراقصة.

خرجت ويلو إلى الحديقة، تسير في الممر المرصوف غاضبة مرتبكة تفكر أنه لا يمكنها الرحيل دون اصطحاب مارشا معها، ومارشا ليست في حالة تسمح لها بالسفر... لكن كيف يمكنها أن تنظر إلى عيني كالمر ديكستر؟

وقفت مسمّرة تحت شجرة سرو، تراقب وردة الشمس الدافئة،

ترتفع لتملأ بنورها السماء الرمادية... لماذا تهرب؟ ليست هي الدخيلة هنا بل هو الدخيل! كالمر هو من يجب أن يرحل وحين تراه ستوضح له هذا. وإذا جادلها، ستتصل بأبيها، لتعرف ما تستطيع عنه.. فليس لها دليل على صدقه سوى كلامه. وفي الواقع بعدما أمعنت التفكير بهدوء الآن أدركت أن الدليل الوحيد على أنه كالمر ديكستر كاتب مسرحيات آدم، هو كلامه فقط، فلم يظهر جواز سفره أو أية رسالة تعريف من آدم. ولم يقدم دليلاً على أحقيته في الإقامة هنا. نعم معه المفتاح ولكن ألم يكن هناك مفتاح مخبأ في كوخ الحديقة للطوارىء؟

سرّعت خطاها حتى تجاوزت البركة، لتدخل إلى الكوخ الخشبي الذي يحتفظ البستاني فيه بأدواته. حاولت عابسة تذكر الموضع الذي يضع فيه دايف المفتاح. تحت أصّ زهور؟ رفعت بضعاً منها فلم تجد شيئاً. ثم وقع نظرها على علبة مكتوب عليها: (مسامير) فشهقت بانتصار. هنا يحتفظ دايف بالمفتاح.. وفتحت العلبة بسرعة.

إنها فارغة.. نظرت إليها تعضُّ على شفتها ولكن هذا لا يثبت أن كالمر أخذ المفتاح. ربما دايف نسي أن يضعه في مكانه أو ربما أخذه البستاني.. لا.. السبيل الوحيد للمعرفة هو الاتصال بأبيها.. نظرت إلى ساعتها، إنها الخامسة الآن، وآدم ينام على الأقل حتى الحادية عشرة وفي هذه الأثناء يحوّل هاتفه إلى الخدمة الليلية، يمكنها ترك رسالة له تطلب فيها أن يرسل لها برقية.. وهذا تصرف حكيم لأن والدها يغيب عن المنزل كثيراً ولا يحضر إلا قليلاً وهذا يعني أنها قد تتصل أياماً دون أن تتمكن من التحدث إليه.

فتحت بوابة الحديقة قبل أن تصعد إلى سيارتها. ودفعتها بصمت دون أن تشغل المحرك لوجود انحدار خفيف على جانب

المنزل. ما إن خرجت حتى شغلت المحرك فنظرت عبر المرآة الجانبية إلى القيلا متسائلة هل سيسمع كالمر صوت السيارة؟

قادت سيارتها على الطرقات الفارغة الصامتة وصولاً إلى أقرب هاتف عمومي. وعندما اتصلت ردّت عليها كما توقعت، آلة الرد الليلية، فأملت عليها الرسالة. ولكنها كادت لا تجد ما يكفيها لإتمامها.

لم تحسّ أنها راغبة في العودة إلى القيلا، كانت مستيقظة تماماً الآن وهي لا تريد رؤية كال بسرعة. يجب أن تسترد شجاعتها أولاً... قادت السيارة على غير هدى فترة ثم توقفت لشراء الخبز الطازج من مخبز القرية، حيث حدق إليها البائع بذهول، فهو لم يتوقع رؤية زبائن في مثل هذه الساعة المبكرة، أقله من الغرباء.. دخل رجل عامل بعدها لشراء خبز فطوره وعندما كانت تخرج لمحت امرأة تركض في شارع القرية منتعلة خفاً منزلياً سعياً لشراء كرواسون لعائلتها. لقد بدأت الحياة تدبّ في الحركة، فثمة كلب ينبح وطفل يصرخ «ماما.. أعطيني الشوكولا».

عادت إلى القيلا التي ما إن وصلت إليها حتى رأت كال واقفاً في الباب ويداه على خصره، وتقطيبة على جبينه، يرتدي الجينز وكنزة قطنية بيضاء.. بدا يقظاً إن لم نقل مفعماً بالحيوية بشكل خطير.

تقدم يلتقيها عابساً:

ـ أين كنت؟

ـ أشتري خبزاً.

نسيت أمام غضبه سبب عدم رغبتها في رؤيته.. أردف يسأل عبر أسنانه:

ـ في ما يزيد عن الساعتين؟ من أين اشتريتها؟ من قلب روما؟

ـ أخفض صوتك! مارشا نائمة فوق! كيف عرفت كم غبت؟

جعلتها رائحة الخبز والكرواسون والأرغفة الممزوجة بالحليب تدرك أنها جائعة.. فأضافت:

ـ ما شأنك في هذا على أي حال؟

دخلت إلى القيلا فشمّت رائحة القهوة منبعثة من المطبخ. كانت تدرك أنه خلفها مع أنها لم تلتفت. عندما أصبحت في المطبخ وضعت الخبز على الطاولة وصبّت لنفسها فنجان قهوة.. هذا الفنجان طعمه أفضل من الذي شربته منذ ساعات وهي تشعر بتحسن شديد بعد خروجها في هواء الصباح المنعش.

قال لها:

ـ اجلسي.. أريد محادثتك.

أخرجت قطعة كرواسان ورغيفاً وضعتهما في صحن ثم اتجهت إلى البراد لتعد لنفسها عصير البرتقال متجاهلة كال، فقد تذكرت ما حدث ليلة أمس ولم تعد راغبة في تلاقي عيونهما أو في سماع ما قد يقوله فثمة شعور يساورها بأن ما سيقوله لن يعجبها.. وتابع يسأل من بين أسنان غاضبة:

ـ أسمعت ما قلت؟

ـ لست صماء.. وأنت نصيح.

أحضرت صينية صغيرة وضعت عليها فطورها، فتقدم منها ليمسك الطرف الآخر من الصينية وذلك عندما حاولت التوجه إلى الباب.

نظرت إليه وكانت حركتها هذه غلطة فقد جعل بريق عينيه الرماديتين حنجرتها تضيق وتنطبق ذعراً، ووجهها يمتقع بالدماء، فاغتنم كال فرصة ارتباكها وجذب الصينية من يدها ليعيدها إلى الطاولة. وقبل أن تتمالك ويلو نفسها كان قد وضعها فوق كرسي وذلك بإمساكه كتفيها بكل بساطة وإجبارها على التراجع.

كان رد فعلها بطيئاً لكنها قالت في النهاية:

ـ أبعد يديك عني!

حين حاولت الوقوف مجدداً، منعتها يداه، وسد جسده طريقها.

ـ والآن.. أخبريني أين كنت منذ خرجت من البوابة في الخامسة صباحاً؟

شاهدت فمه مشدوداً بنصر لأنه أجبرها على فعل ما يشاء.. كما شاهدت تعبير الرضى عليه فتصلبت غضباً، وقالت بازدراء حاد:

ـ أيها المتسلط القذر!.. ممّ تخاف؟ أن أكون قد ذهبت إلى الشرطة لأخبرهم عنك؟

التوت شفته العليا إلى فوق وظهرت أسنانه البيضاء المشدودة التي فتحها بجهد ظاهر، وقال بصوت حاول أن يسيطر عليه.

ـ هذا ما أردت محادثتك عنه. الهراء المتعلق بالاختطاف والفدية. من الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟ هل أبدو لك رئيس مافيا؟

تفرّست فيه ببرود وكأنها تفكر في السؤال ثم قالت وكأنها اتخذت قراراً:

ـ أجل.. أجل.. هذا ما أراك عليه.

اشتد ضغط يديه على كتفيها وهزها..

ـ لا أظن هذا مضحكاً!

تساءلت كيف عرف أنها كانت تضحك في سرها. ومع أنه يبدو خطراً في هذا المزاج الشرير إلا أنها أحست بالراحة لأنها تجده أقل خطراً في غضبه عما كان عليه ليلة أمس.. فالعدوانية إحساس آمن من تلك الجاذبية الحادة التي جعلت رأسها يدور، ودفعتها إلى تصرف لا تصدق الآن أنها أقدمت عليه وهي الباردة العنيدة كالحجر.

سمعته يقول:

ـ لك مخيلة خصبة! أنطوان رجل في غاية الثراء وقد باع ملايين الأشرطة. إنه اسم كبير في عالمه. ما الذي جعلك تظنين أنه متورط في عملية كالخطف؟ اتركيني أنا الآن خارج الموضوع مع أنني لست مفلساً..

سألته بعذوبة:

ـ وكيف أتركك خارج الموضوع؟ وأنت من رتبت وجود أنطوان في ڤيلا ميديتشي.. لا تقل لي إنه كان هناك صدفة فلن أصدقك. لقد رتبت مجيئه لسبب خاص بك.. وأنا أعمل على معرفة ما هو.

نظر إليها باستغراب من بين أهدابه السوداء، فازدادت سرعة نبضات قلبها، مع أنها كانت تأمر نفسها بعدم التأثر بهذه النظرات الحميمة التي يستخدمها عوضاً عن أن يحاول التأثير فيها. لكنها لم تكن تصغي إلى همس عقلها اليوم، فقد كانت مشغولة بالنظر إلى عنقه الناعمة السمراء وإلى زاويتي فكيه وعظام خديه وإلى أهدابه التي تغطي نصف عينيه. كانت تعلم أنها تتحامق وأنه يمثل عليها، فما هي الآن إلا متفرجة مأسورة، يجب أن تخرج من المسرح ولكنها لم تستطع التوقف عن النظر.

ـ حسناً.. اتصلت بأنطوان طالباً منه الانضمام إلينا في ڤيلا ميديتشي... فقد رأيت أن وجود شخص رابع فكرة جيدة.

سخرت منه: «ألا تستطيع التعامل مع أكثر من امرأة في وقت واحد؟».

نظر إليها نظرة جعلت أعصابها تقفز توتراً ولم تعجبه الملاحظة.

ـ ربما لم أرغب في أكثر من امرأة.

ـ أعتقد أنك طلبته لأجلي ولكنه فضّل مارشا.

ـ أهذا ما تريدين أن أعترف به؟ ولكنك تعرفين أن ما تقولينه غير صحيح.

أحست بقشعريرة في مؤخرة عنقها:

ـ لا تخدعني بأنك...

لم تستطع أن تقول ما تريد قوله فصمتت... الأمر مذل، فلا يعقل أنه كان راغباً في أن يكون وحده معها! لكنه قال بخشونة:

ـ أردت أن أتعرّف إليك بشكل أفضل دون وجود مارشا وهي تثرثر في أذني الأخرى. إنها فتاة جميلة لكنها تضحك كثيراً.. وتكرر حديثها مراراً.

ـ بدوت سعيداً بالعبث معها عندما وصلت.

ـ إنها فتاة لطيفة، ودودة.. وهذا أكثر ما أستطيع القول عنها.

ـ أردت أن ترى إذا كان بإمكانك أن تجعلني أكثر وداً.

ألهذا حاول معانقتها بالأمس؟ أهو ممن يكره أن يفشل مع أية امرأة، ويذهب إلى أبعد مدى ليحوّل عدم الاكتراث إلى إخلاص، حتى وإن كان غير مهتم فعلاً بتلك المرأة؟

سحب كال نفسه بصعوبة فبدا البياض حول فمه:

ـ أنا أفقد أعصابي بسرعة عندما أكون معك... لماذا تصميمك على سوء الظن بكل ما أقوله أو أفعله؟

ـ لأنني أرتاب بدوافعك وباهتمامك بي!

استرخى فمه بابتسامة غريبة:

ـ أليس هذا مجرد تفاعل كيماوي يجري بيننا؟ أم ستدّعين أنك نسيت ما جرى ليلة أمس؟

أمسك بكتفيها يرفعها عن الكرسي وهي تشهق احتجاجاً.

ـ لا.. أنا...

اختنقت الكلمات فجأة، ولم تدرِ إلا وهي تتمسك بكتفيه لتبعده عنها، ولكنها تأخرت ثانية واحدة استطاع خلالها أن يشدّها بالقوة، فاستكانت لحظة مغمضة العينين تحاول لملمة قوتها لتتحرّر. لقد

أقنعت نفسها وهي تجول على غير هدى هذا الصباح أن ما حدث ليلة أمس، وليد حاجتها وتعبها وأن الرغبة المشبوبة التي شعرت بها تجاه هذا الرجل لم تكن سوى سراب قد تشعر به تجاه مطلق رجل وهي في تلك الحالة من التشوش... حسناً.. هي الآن صاحية وصلبة كالحكم ومع ذلك فدمها يجري بسرعة مضاعفة وجسدها يرتجف وكأن حمى أصابته وبداها تهتزان بلا توقف وهما تتمسكان بكتفيه. كانت تريد أن تحضن وجهه بيديها، وتحس بشعره ينزلق بين أناملها. تسارعت الصور في رأسها، ولم تستطع إبعادها مع أن جزءاً هاماً من ذكائها وحكمتها كان يقف جانباً يتفرج برعب.

رفع كال رأسه فتنفست الصعداء، ووجدت أخيراً القوة لدفعه عنها والتراجع.

قال لها ساخراً:

ـ أعطيتك الآن فكرة عن دوافعي؟

لم تصدقه.. هذا ما قالته عيناها الغاضبتان.. إنها لا تملك تلك الجاذبية التي تجعل الرجال يقعون في حبها من النظرة الأولى.. كان أصدقاؤها جميعاً من التافهين وقد عرفتهم في فترات متباعدة، فتعلمت أن تثق بهم أولاً قبل أن تدعهم يقتربون منها ولو بغزل بسيط. ولم تكن تثق بأي كان بسهولة، فهي تعرف الكثير عن الرجال خاصة الساحرين منهم أمثال كالمر ديكستر. إنه من طينة أبيها نفسها وكلاهما يلفت النظر إليه وكلاهما واثق من نفسه، ديناميكي مع النساء.

سألته بتوتر:

ـ هل أستطيع تناول فطوري الآن؟

تناولت الصينية ثم تحسست القهوة فإذا هي باردة تقريباً. صبّت لنفسها فنجان آخر أسخن، وخرجت لتأكل على الطاولة القابعة في

الشرفة تحت أشعة الشمس.

كم من الوقت سيمضي قبل أن يدير آدم آلة التسجيل المتصلة بهاتفه؟ ومتى سيرسل لها الرد؟ فكرت ثانية في ما قاله لها كال، وصرفت النظر عن معظمه. لقد ضحك على فكرة اختطافها. حسناً.. من الصعب أن يعترف. أليس كذلك؟ ومن الطبيعي أن يقترح وجود رجل آخر ليكونوا زوجين ولكن لماذا كذب عليها؟

حين أنهت فطورها توجهت إلى الڤيلا وهناك التقت كالمر وهو خارج مرتدياً ثياب السباحة.

ـ سأسبح، أترافقينني؟ أعتقد أن مارشا ستستيقظ متأخرة.

ما الذي يسعى إليه الآن؟

ـ فكرت في الاتصال بالوطن في وقت ما هذا الصباح.. كم هو فرق التوقيت؟ أنا لا أذكره أبداً.

ـ ساعة... أو ساعتين؟ من الخطأ التفكير في الوطن وأنت في إجازة... من المفترض أن تبتعدي عن كل شيء. ارتدي البيكيني وانزلي لنسبح.

ـ ربما أفعل.

لا تريد أن يعرف أنها اتصلت بآدم، فلو عرف لأخذ حذره وهي لا تريده موجوداً حين يصل التلغراف ليكشف المزيد عنه. كانت تحس، بأنه بطريقة ما يكذب عليها لذا تنوي أن تكتشف ما إذا كان إحساسها مصيباً.

ابتسم لها بحرارة: «هذا أفضل».

حرارة؟ الرضى عن النفس هي كلمة أصحّ.. يظن أنه يخدعها وأنها ستكون بين يديه مجرد لعبة، لكنه مخطىء.

صعدت إلى غرفتها تسمع شخير مارشا خلف بابها المقفل.. ستنام على الأرجح حتى موعد الغداء، وقد تستيقظ متعبة ولكنها دون

شك ستكون سعيدة لأنها قضت وقتاً ممتعاً في الكازينو.

ارتدت ويلو البيكيني، ونظرت إلى نفسها منتقدة في المرآة.. إذا كانت مرتابة بكلام كال المتعلق بجاذبيتها، فما عليها إلا النظر إلى المرآة لتعرف أنها لا تملك الجاذبية الفريدة. تدلّى شعرها الأسود فأحاط بوجهها الصغير وأغدق عليها منظر مومياء مصرية. وحدهما عيناها الزرقاوان والواسعتان أضفيا عليها بعض الحيوية وبعض التمرد الشرس. لم يستغفلها أحد على الأقل مثل كالمر.

خرجت متنهدة إلى البركة فوجدته يسبح من جهة إلى أخرى. كان جسده الأسمر يشق الماء ويرسل التموجات إلى أطراف البركة.. غطست في الماء ثم برزت فوجدته قربها مبتسماً قائلاً:

ـ أتتسابق؟ لنرَ من ينهي عشرين طولاً قبل الآخر؟

ـ أنت أسرع مني.. وأكبر حجماً. أمهلني بعض الوقت. على الأقل طولاً واحداً في البداية.

وافق ولكن على الرغم من ذلك مرَّ قربها كالبرق قبل أن تنتهي وحين خرجت من البركة كان جالساً على حافتها يضحك بنصر. فقالت له متجهمة:

ـ أنت تحب الفوز؟

بدا لها طفلاً صغيراً ولكن لم يكن فيه ما هو طفولي في عرض منكبيه الأسمرين أو في عضلات جسده. جلسا قرب البركة على كرسيين، وأغمضا عيونهما أمام حرارة الشمس الساطعة بانتظار أن يجف جسماهما.

سألته: «هل أردت دائماً أن تكتب المسرحيات؟»

اندفع يخبرها كيف كان يود التمثيل حتى أدرك أنه لا يملك الموهبة. أردف:

ـ عملتُ بعد ذلك صحفياً، لكنني لم أنجح كذلك. كنت أفكر

في أنني غير نافع لشيء حتى خطرت فكرة مسرحية في رأسي.. مسرحية إذاعية.. وكانت البداية، وبضربة حظ قبلت وأذيعت.. لا أستطيع القول إنها أعطتني إيراداً كافياً، فالإذاعة لا تدفع الكثير، ولكنها كانت بداية جيدة. وقد رحت بعدها أكتب المسرحيات للإذاعة مدة سنة، ثم أصابني الطموح.. فكتبت مسرحية متكاملة للمسرح ولكن لم يرها أحد رائعة، فوضعتها في خزانتي وعدت إلى الكتابة الإذاعية.

ـ لكنك لم تتوقف هناك؟

ـ لا.. فأنا عنيد جداً. كان معي مال كثير، فسافرت مدة شهرين أقمت خلالهما مع ابن عمي في مزرعته في ويلز، وهناك كتبت مسرحية أخرى متجنباً الأخطاء التي ارتكبتها في الأولى. ولكن لا تتصوري إن أول من رآها اختطفها مني، فقد أعدت كتابة تلك المسرحية ومع ذلك ظلت الريبة بادية على وجوه من يقرأها. ثم طلب مني كتابة مسلسل تلفزيوني بسيط، لا تسألني عنه، فأنا أرغب في نسيان تلك الحقبة من حياتي ولكنني جنيت مالاً وفيراً وعملت بجهد كبير مع فريق رائع ودود. غير أنني كنت محبطاً. اعتقدت أنني لن أصل إلى المسرح أبداً. وفي يوم كئيب ممطر، مظلم، يتساءل فيه المرء لماذا ولد. كنت أطبع آخر حلقة في تلك السلسلة، أرمي الأوراق الخاطئة في كل اتجاه، ألعن وأشتم..

صمت، وأدار رأسه إليها مبتسماً:

ـ هل أضجرتك؟

ـ لا.. أبداً.. تابع.. لقد أسرت اهتمامي.

ـ حسناً.. وفي يوم، كما قلت، وصلتني مكالمة من وكيل أعمالي يقول إنه.. قد.. فقط قد.. أتلاحظين؟ قد يكون لديه من يهتم بمسرحيتي الثانية، وأن بإمكاني مشاركتهما الغداء في اليوم

التالي.

ـ ووافقت؟

ـ لا أظنني تمكنت من الرد مدة خمس دقائق. كنت أتنفس فقط.

ـ أكانت مسرحية «الخيانة الخرساء»؟

تغير وجهه، وكأن ستاراً أسدل على نافذة.

ـ لا.. تلك كانت مسرحيتي الثالثة.. أما المسرحية الأولى فما زالت مدفونة في خزانتي.. وإن وجدتها يوماً فسأحرقها.

ـ أوه.. لا تفعل هذا، قد تكون أفضل مما تظن.

ـ لا يمكنها أن تكون أسوأ.

هل اختلف كالمر مع آدم أثناء عرض المسرحية؟ لقد أنجحها آدم نجاحاً منقطع النظير وجعل كالمر كاتباً شهيراً وثرياً، كما فعل بالكثيرين من قبل. لكنها تعرف ما هو المسرح. تعرف أين هي العتمة والظلام تحت السطح المتألق، تعرف الحسد والغيرة، الحقد الذي يختفي عن النظر وراء وجوه الناس الجميلة.

سألته ببراءة: «أتحب والدي؟»

ساد صمت قصير، ثم قال ببرود: «أتحبينه أنت؟»

لم تتوقع منه ويلو هذا السؤال، فسحبت نفساً عميقاً ثم ردت تتظاهر بالضحك:

ـ سألتك أولاً.

ـ أنت لا تذكرينه أبداً إلا إذا ذكره شخص ما أولاً.

ردت تفسّر الأمر بطريقة لا تعود إلى سؤال آخر:

ـ عندما كنت في المدرسة، كان والدي من ألمع نجوم المسرح اللندني. وكان أصدقائي مفتونين به وقد توسلوني دائماً لأدعوهم إلى تناول الشاي في منزلنا ليقابلوه. ولكنني سئمت أن أكون ابنته كما

سئمت أسئلة الناس عنه ولطفهم معي ليحصلوا مني على دعوة إلى منزلنا.. وهذا على ما أظن ما يحدث مع جميع أبناء المشاهير.

ـ كان مثال الجاذبية.. أليس كذلك؟

ـ أعتقد هذا.

ـ وهل كان هذا مضجراً؟

ـ لم يكن فيه مرح.

ـ هل حاولت إحدى صديقاتك أن...

ـ لم أسألهن!

كان بعض صديقاتها المراهقات يحمن حولها أملاً في أن يغازلهن آدم.. ولا تدري إذا فعل، بل لا تريد أن تعرف.

ـ كان يمضي وقتاً طويلاً في لندن، على أي حال.. لدينا منزل في الريف، ففيه ترعرعت ودايف، لكن والدي كان غائباً عنه معظم الوقت.

ـ هل كان والداك منفصلين؟

ـ قانونياً؟ لا.. أما في ما للكلمة من معنى فنعم.

كيف دفعها إلى هذا الاعتراف؟ لقد تحدث بصراحة عن نفسه وحياته، ولعل هذا ما جعلها تطمئن. هل خطط لهذا؟ أردف كال بصوت خفيض.

ـ أن تكون أمك متزوجة من رجل هو محط أحلام السيدات لوضع ثقيل عليها.

أغمضت عينيها بحزم:

ـ سأغفو قليلاً الآن.

فهم هذه المرة كال التلميح فصمت.

إلام يسعى؟ يعرف الجميع أن آدم زير نساء، ولم يحاول يوماً أن يخفي ذلك. لذا لن يكون ذلك فضيحة له، ولن يدهش لهذا الخبر

أحد. بل ربما ويلو لا تعرف عن علاقات والدها ما يعرفه غيرها من الناس، لأنها حين كانت تشاهد مقالاً عنه كانت تدير الصفحة بسرعة ولم تقرأ قط مثل هذه الفضائح، لأنها تشعرها برغبة في التقيؤ.

ربما هي شديدة الحساسية في ما يتعلق بوالدها وربما لا يحاول كال ابتزاز المعلومات منها... ربما هو فضولي بشأن حياتها ونظرتها إلى والدها. وهو رد فعل إنساني غير مستغرب يفسر ربما أسئلته المتكررة عن آدم.

* * *

٥ ـ أول وآخر رجل

نزلت مارشا أخيراً إلى الطابق السفلي حوالى الظهر. بعدما أنعشت نفسها ببعض القهوة المرّة، اقترحت أن يذهبوا للتسوق في روما وتناول الغداء فيها. نظرت ويلو إلى كال وعيناها غارقتان في التفكير فرأته موافقاً على هذه الفكرة. فسألته:

ـ ألا يفترض أن تكون سيارتك قد أصلحت؟ ستمر بالكاراج لترى إذا أنهوا تصليحها؟

لم تبدُ الدهشة عليه بل قال متشدقاً:

ـ أتريدين الخلاص مني؟

تدخلت مارشا:

ـ لم تقصد ويلو هذا.. أليس كذلك ويلو؟ من الجيد وجودك. نحن نحب الصحبة لأننا لسنا من المحافظات على أي حال. ثمة غرف عديدة ولا مشكلة عندنا. لا أذكر أبداً أنني تمتعت بوقتي كما أتمتع حالياً.

فكرت ويلو بالبرقية التي تنتظرها.. حالما تصل ستعرف بالتأكيد ما إذا كان كالمر مزيفاً أو لا. وليس عليها إلا الانتظار.

قالت لها مارشا عندما كانوا يغادرون الڤيلا:

ـ اقترح أنطوان أن نجرب التزلج المائي على الشاطىء.

ردت ويلو: «خلتك تريدين التسوق، فهل سيوافينا أنطوان؟»

ـ صحيح.

كان شعرها يتطاير حول وجهها. وحين تختار مارشا أن تعيش هكذا فمن الذي يستطيع منعها؟ تتساءل ويلو أحياناً لماذا يكون اختيار مارشا خاطئاً دائماً. ولكن مارشا نفسها، على الأرجح، لا تعرف السبب. ويلو تعرف أن شخصيتها قامت على أثر قلة ثقتها المريرة بأبيها وبالرجال عموماً.. فما الذي كوّن شخصية مارشا يا ترى؟

توقفت ويلو أمام الكاراج وسألت كال متظاهرة بالبراءة:

ـ هل أدخل لأرى إن أُصلحت سيارتك؟

ـ لا.. بل أدخل أنا.

راقبت ساقيه المديدتين الطويلتين تجتازان المسافة إلى حيث كان عدة رجال يعملون. تحوّلت حرارة بعد الظهر إلى ثقل ملحّ متحدي. كانت ويلو تضع نظارة شمسية على عينيها وزيتاً ملطفاً على ذراعيها تجنباً لأشعة الشمس، وكان فستانها القطني الرقيق يظهر بشرتها. فقالت متأوهة متذمرة:

ـ أليس الطقس حاراً؟

وافقت مارشا ولكنها أردفت:

ـ لماذا تحاولين الخلاص من كال..؟ ألا يعجبك؟ بدوتما متفقين. إذا رحل، ماذا أفعل بشأن أنطوان؟ لن أستطيع الخروج معه وأتركك في الڤيلا، وإذا أتيت معنا.. حسناً.. ثلاثة سيشكلون ازدحاماً.

راقبت ويلو كالمر يعود إليهما، والشمس تلمع على شعره الأسود، وقالت ساخرة:

ـ لا أظننا سنخسره.

التفتت إليه تسأله وهو يفتح الباب الخلفي:

ـ ألم تجهز بعد؟

رمقها بنظرة تسلية، وقد التقط ذبذبات السخرية في صوتها.

ـ أخشى أن يكون العطل فيها أكثر تعقيداً مما ظننته في البداية.. وعدوني أن تجهز غداً.

شغّلت ويلو المحرك وقالت:

ـ أوه.. جيّد! إن هذا دون شك يريحك.

عندما انطلقت سألها.

ـ هل قمت بالتزلج المائي من قبل؟

ردت مارشا بشوق: «لا، ولكنني أتوق إليه».

مال إلى الأمام حتى كاد ذقنه يلمس ذراعها:

ـ وأنت ويلو؟

ـ جربته. وقد حدث أن وقعت عن اللوح فابتلعت ماءً كثيراً ولا أذكر أنني تمتعت.

تحركت مبعدة ذراعها عنه، فقال واعداً:

ـ سأعلمك.. هل أنت بطيئة في التعلم؟

التقت عيونهما في المرآة الأمامية، فشعرت بوجهها يتضرّج حياء، فقد كان في ابتسامته مرح خبيث ماكر.. فقالت بحدة وغضب:

ـ سأكتفي بالتعرض للشمس.

ـ أوه.. لا يمكنني تحمل هذا.. لا تقلقي، سأتمتع بتعليمك.

ضحكت مارشا، فضغطت ويلو قدمها على دواسة الوقود غاضبة منهما كليهما.

على أحد الشواطىء القديمة اصطحب أنطوان مارشا لتعليمها ركوب الأمواج، فراحت ويلو تراقبها متكاسلة وهي تطلي جسدها بالمزيد من زيت الشمس وكانت تبتسم كلما رأت مارشا تتهاوى واقعة محدثة صوتاً كانت تسمعه. وكان صياح الغضب أكثر ارتفاعاً

بعد قليل، وبدأت ويلو تضحك. ولكن مرحها تلاشى حين جلس كال قائلاً:

ـ هيا بنا.. لقد تكاسلت بما فيه الكفاية! ستتعلمين بسرعة طريقة التوازن على لوحة التزلج.. أنت خفيفة الوزن وعليه لن تجدي صعوبة فيه.

ـ لا،، لا أريد.

أغلقت زجاجة الزيت، واستلقت على وجهها.. فركع أمامها يصفعها على جنبها:

ـ جبانة!

التفتت تنظر إليه غاضبة:

ـ لا تفعل هذا!

فجأة احتواها بين ذراعيه يرفعها ليسير بها نحو الشاطىء، فراحت تتلوى بين ذراعيه وما زاد غضبها سماعها ضحكات الناس. إنهما يجذبان الاهتمام، وتصرفه المغرور لاقى استحساناً بين المشاهدين.

نظرت إليه نظرة غاضبة فبادلها أخرى ساخرة. حالت قوة جسمه النحيل المكسو بالعضلات، دون قدرتها على المقاومة.

ـ إن لم تنزلني أعضّك.

قال ببرود: «في هذه الحالة...»

ورماها فوقعت صارخة تغوص في الماء عميقاً ولكن غضبها دفعها للإمساك بقدمه فشدته ليفقد توازنه.. كانت قد ابتعدت قبل أن يتمالك نفسه ولكنها سمعته يعوم خلفها بسهولة، فزادت من سرعتها هرباً منه. ولكنه كان أسرع منها فلحق بها وأمسكها. كانت ذراعاه تلفانها لمنعها من الفرار ولكنها شهقت مصدومة.

ـ أيخيفك كل شيء؟ من كان يعتقد أنك هريرة صغيرة خائفة؟

إنك تذكرينني بهرة سوداء صغيرة ترتعد ذعراً.

ردت بخشونة: «كن حذراً فللقطط مخالب».

غرزت أظافرها في كتفه.. فتمتم:

ـ تؤلمينني!

وتركها.. فسبحت تعود أدراجها إلى الرمال، وراح هو يلحقها، وما إن لامست قدماها الأرض تحت الماء واستطاعت أن تقف، حتى استقام بدوره.. والماء المالح يتساقط عن جسده. نظر إليها بخبث شرير، يدفع شعرها المبلل عن وجهها.. فقابلت نظرته بتحد.

قال لها: «أنت لست جبل الجليد الذي تحاولين إظهاره.. أم تراك تحاولين إقناع نفسك بذلك؟ ماذا فعل والدك بك؟ ليس الرجال جميعهم مثله..»

سألته بريبة:

ـ ماذا لديك ضد والدي؟ هل أنت حقاً كاتب مسرحي؟ أم تراك ما تزال صحافياً؟

التوى فمه بابتسامة قلقة، ولكن عينيه كانتا أكثر قلقاً.

ـ لا.. لست صحافياً. كنت صحافياً فاشلاً حتى عندما كنت أعمل في «فليت ستريت». وكانت معظم القصص التي كتبتها تضجرني.. ولو أنني اهتممت عميقاً بما أكتبه لسارع مساعد رئيس التحرير إلى إفساد محتواها.. إنهم يريدون مقالات ذات صيغة واحدة وهذا ما وجدته مملاً.

تفرست فيه ساخرة وهي واقفة في الماء الضحل على طرف الشاطىء بانتظار أن يجف الماء عن جسدها النحيل. سألته:

ـ لم تقل لي، ماذا عندك ضد والدي؟ فلست بلهاء. أتعلم؟

ـ لماذا أجيب عن سؤالك وأنت لم تجيبي عن سؤالي؟

ـ واحدة بواحدة. أليس كذلك؟

ابتعدت عيناه عنها إلى البعيد فقال:

ـ انظري! مارشا تتزلج بشكل جيد الآن.

ـ هذا مدهش. أنا متأثرة. وأنطوان على ما يبدو معلم رائع.. ربما أطلب منه أن يعلمني.

ـ أنت تضيفين الإهانة إلى الجرح. لماذا لا تعطينني فرصة؟

تورَّد وجهها من لهجته الساخرة وتلميحه الخفي.

ـ أحب أن أنظر إلى الأمام قبل أن أقفز.

ـ وهذا كله عليّ. لم ألتقِ قط بأنثى لا تثق بالناس إلى هذا الحد. فأنت تشكين في كل شيء، ولا تصدقين شيئاً.. أعتقد أنك تضعين شكك هذا بالتفكير العصري، لكنك تفقدين وقتاً طويلاً وجهداً كثيراً بتصرفك هذا.

ـ لكنها طريقة آمنة كل الأمن.

تنهد: «تحيّرينني... أنت في شغل دائم خوفاً من الوقوع في الخطأ. وقد تظلين على هذه الحال حتى ينتهي بك الأمر إلى أن تعجزي عن العيش أبداً».

ـ لن تخدعني بكلامك القديم الذي سمعته مراراً من قبل.

تقدمت مارشا سابحة إليهما متوردة الوجه انتصاراً.

ـ كان هذا تفوقاً! يجب أن تجربي ويلو! وعندما تتعلمين ستمضين وقتاً رائعاً. ترين الأمر صعباً في البداية ولكنه كركوب الدراجة الهوائية... ما عليك سوى الحفاظ على توازنك وبعدها يصبح الأمر سهلاً. وقعت عشرات المرات قبل أن أتعلم ولكن المتعة تستحق الجهد.

تقدم أنطوان ولوح التزلج تحت إبطه.

ـ سأعلمك ويلو!

مالت للقبول تحثها مارشا، لكن كال تدخل مصراً على ألا

يعلمها أحد سواه. . . فغمزت مارشا لها، ودفع أنطوان بلوح التزلج إلى كال.

بقيت ويلو في الساعة التالية تحاول التهرب. . فقد وجدت صعوبة في جذب الشراع الثقيل من الماء، وكانت حين تتمكن من رفعه لا تستطيع الحفاظ على توازنها خاصة متى التقط الشراع الريح. كانت أحياناً تنطلق ولكنها لا تلبث أن تنزلق قدماها فوق اللوحة الرطبة فتقع ثانية في البحر. . . وآلمتها عضلات معدتها وخصرها من شدة الاصطدام الدائم بالماء، كما آلمتها ذراعاها من محاولة التوازن والشد وآلمتها أطراف أصابعها من الضغط على اللوح. فصاحت:

ـ لقد اكتفيت.

ـ محاولة أخرى ثم نتوقف.

أخيراً تمكنت من الحفاظ على توازنها مدة خمس دقائق فانزلق اللوح بها بعيداً عن كال وشعرت بلذع الريح التي طيّرت بشعرها واصطدمت بجسدها. . حين رمتها الأمواج، ارتبكت فشدت اللوح أمامها لتعود به إلى الشاطىء وهي تشعر بالنصر. لم تصدق أنها قادرة على ذلك وحين التقت كال في المنطقة الهادئة من الأمواج ضحكت له مبتهجة. . فقال لها:

ـ ألم أقل لك؟

ـ هذه أكثر الكلمات إثارة لجنوني في اللغة.

ـ ربما. . إنما لعلي أثبتّ لك شيئاً.

أعطيا لوحة التزلج للشاب المسؤول عنها. وسارا معاً على الشاطىء متسائلة عما عنى بكلامه ذاك بالضبط. لكنها قررت ألا تسأل، فقد شعرت بأنه يريد منها أن تسأل.

تناولوا العشاء معاً في مطعم صيني صغير، مختص بالطعام الڤيتنامي، وقد وجدوا على القائمة البط الاقليمي مع صلصة الخوخ

إضافة إلى أطباق غير مألوفة من ريف ڤيتنام. اكتظت طاولتهم بقصاع صغيرة من الطعام المثير للاهتمام، فتناولوا منها مقادير صغيرة، بالعصي الصينية الشهيرة، متذوقين كل طبق من ماء جوز الهند المملح حتى صلصة الدجاج بالحامض مع المعكرونة.

أخبرهم أنطوان أنه رسام كاريكاتوري إضافة إلى كونه مغنياً. وقد رسم لهم صورة فوق لائحة الطعام، وطلب كال أن يحتفظ بها. . ثم استدعى أنطوان مدير المطعم الذي نظر بدهشة إلى صور الأربعة أما كال فطلب من الرجل الاحتفاظ بلائحة الطعام. بدا من الغريب أن يتكلم ذلك الڤيتنامي الإيطالية بطلاقة، ولكنه وافق فتقده كال ورقة نقدية ووضع اللائحة في جيبه. . انحنيا لبعضهما بجلال، ثم انصرف المدير.

كانت ويلو راضية رضاء يحسه المرء بعد قضائه يوماً رائعاً بالحركة والإثارة في الهواء الطلق مع أشخاص يعجبونه. وكانت غير راغبة في الانتقال من هذا المطعم الصغير ذي الزينة الشرقية، والموسيقى الصينية المتواصلة.

عدَّ كال مقدار ما يحتاج لتسديد الفاتورة ثم هبَّ واقفاً. فسارع أحد السقاة يفتح الباب، منحنياً لهم. . ارتجفت ويلو قليلاً، فهواء الليل بارد على بشرتها الساخنة جداً.

كان كال يقود السيارة وويلو إلى جانبه، ورأسها على ظهر مقعدها، ناظرة إلى النجوم البعيدة في السماء التي ظهر لمعانها ضبابياً لبعدها.

كانت مارشا نصف نائمة في الخلف تتثاءب من وقت إلى آخر لا تقول شيئاً أما أنطوان فأوصلوه قبل ذلك إلى فندقه. عندما أوقف كال السيارة ودخلوا إلى الڤيلا، تمتمت مارشا: «عمتم مساء». ثم اتجهت ترتقي الدرج وهي تجرّ نفسها جراً، كمن يسير وهو نائم.

راقبها كال وويلو، بصمت. كانت ويلو تعرف أن من الجنون الوقوف هناك معه وكأنها تنتظر شيئاً... لكن ماذا تنتظر؟ أتنتظر أن يعانقها؟.. أجل.. طبعاً.. لكن الأمر ليس بهذه البساطة والوضوح. كانت تنتظر لحظة حسبتها لن تحدث.. تنتظر سعادة تصورت أنها لن تعرفها أبداً.

نظر كال إليها لامع العينين اللتين ظهرتا لها نجوماً كريستالية شبيهه بما رأته في كبد السماء منذ قليل. فجأة أحست أنه ما زال بعيداً عنها بُعد تلك النجوم، بعيداً عن منالها.. براقاً جداً، بعيداً جداً. لقد أحسست أنه قريب إنما يستحيل الوصول إليه وكأنه بعيد ملايين الأميال...

سارعت تقول بصوت منخفض: «تصبح على خير».

ـ أترغبين في القهوة؟

ـ لا. إنها تقلقني.

ـ أتودين حقاً النوم؟

أرسل سؤاله النيران إلى شرايينها.. كان يقصد النوم وحدك في غرفتك الصامتة الخالية إلا منك. نعم لم تكن تريد ذلك ولكنه أسلم طريق على أي حال.

قال لها: «كان يوماً جميلاً؟»

كان قريباً منها، حتى أحست بحرارة أنفاسه على عنقها ثم انحنى أكثر، فأحست بشفتيه تكادان تحطان عليها.

ردت، تضع قدمها على الدرجة الأولى:

ـ أجل.. ولكنني متعبة.

ـ دعك من الهرب.

ـ لا أهرب.. ليس لديّ الطاقة على الفرار هاربة، ليس الليلة

على أي حال.. حاول غداً فقد تجدني متمالكة نفسي، وعندها تحصل على ما تستحق.

ضحك بعدما تركها وراح يراقبها ترتقي الدرج حتى دخلت إلى غرفتها تقفل الباب. استغرقت في النوم لحظة وضعت رأسها على الوسادة.. لكنها استيقظت فجراً تحسُّ بالعطش، وهذا يشير إلى أنها كانت قلقة في نومها، فقد كان فراشها متجعداً والأغطية مدفوعة بعيداً إلى أسفل السرير. لكنها لا تذكر أنها رأت في منامها شيئاً.

نزلت إلى المطبخ بثوبها القطني القصير، فلم تسمع صوتاً من الغرفتين الأخريين. وقفت قرب نافذة المطبخ تحدق إلى الحديقة التي بدأ ضوء القمر ينيرها، فسمعت نداء استيقاظ الطيور.

لم تكن قد عرفت رجلاً عن كثب كما عرفت كال... وضعت كوب الماء من يدها وضحكت على نفسها. هل هذا صحيح؟ أجل.. إنه صحيح ومحزن كذلك. معظم الفتيات يعرفن أشياء عن الرجال من آبائهن وإخوانهن. ولكنها لم تتعلم من آدم إلا الكراهية وعدم الثقة، أما شقيقها فقد كان أكبر منها بكثير. لقد تزوج دايف وهي ما تزال في المدرسة، وأصبحت «عمة» في التاسعة عشرة. إنها تحب أخاها.. هذا صحيح، لكنها لا تعرف الكثير عنه. كانت أصغر من أن ترى فيه سوى الشقيق الأكبر الذي يداعبها حيناً ويقسو عليها حيناً آخر.

لكنها ليلة أمس، كانت أقرب إلى كال أكثر مما كانت قريبة من أي فرد من الجنس الآخر. ألهذا السبب أحست بالسعادة؟

كانت تقف على شفير اكتشاف مثير جديد ولكنها لم تشأ العجلة أو التعلق بوهم فارغ، بل أرادت أن تطيل تلك اللحظات المليئة بالترقب.

عادت من الردهة إلى الدرج ترتقيه سعياً إلى الحمام للاستحمام وتبديل الملابس ولكنها توقفت في منتصف الطريق. فقد شاهدت كال في غرفة الجلوس مستلقياً على الأريكة البيضاء ورأسه فوق وسادة خضراء وجسده الطويل ممدد وهو نائم نوماً هادئاً.

اقتربت على رؤوس أصابعها إلى الباب الزجاجي ففتحته دون أن تحدث صوتاً وهناك شاهدت كتاباً مفتوحاً فوق السجادة. يجب أن تنسحب لتترك المسكين نائماً ولكنها كانت تتوق إلى رؤيته دون دفاع، في وضع هو عرضة فيه إلى كافة الأخطار، ومرآه هذا سيخبرها الكثير عنه. لن يكون وهو نائم متسلحاً بذلك القناع فوق وجهه.

وقفت قرب الأريكة تحدق إليه، إلى الوجه القوي التقاسيم، إلى الصدر القوي المرتفع، كان يتنفس بانتظام بطريقة ناعمة وأهدابه الطويلة تبلغ وجنتيه.

أحست بالحنان يتدفق في نفسها فرغبت في لمس شعره الأسود، الذي شعثه النوم. ورغبت في وضع يدها على عنقه السمراء الدافئة، لتشعر بالشريان الخافق ببطء ولطف في أسفل عنقه.

ماذا كان يقرأ؟ انحنت تلتقط الكتاب.. لم يكن كتاباً مطبوعاً. بل مجرد دفتر مغلّف بجلد أسود عليه كتابة يد. لم يكن يقرأ بل يكتب. أهي مسرحية؟ لا ما هو مسجل فيها يشبه الرموز بحيث لا تشبه ما يُكتب للمسرحية. كانت على وشك إقفال الكتاب وإعادته

إلى مكانه حين سجلت عيناها اسمها. قفز الاسم من بين بحر الكلمات الرمزية. فذعرت، لقد تعلمت على الاختزال ستة أشهر وهي قادرة على فهم رموز كال. كان اسمها مدوّناً أكثر من مرة في تلك الفقرة بالذات.

كان قد سجّل أحد النقاشات التي دارت بينهما.. تذكرت الأسئلة التي طرحها والردود التي قدمتها. لقد لخّص ردها، وها هو.. أعادت قراءته ببطء وهي تحس بالبرودة تجري على ظهرها... لماذا يسجل كل ما تقوله؟ قلبت الصفحات بارتباك فإذا اسمها يظهر في كل صفحة تنظر إليها. أحست بأن ركبتيها تهنان، فجلست مرتجفة اليدين ولكنها لم تلاحظ وجود كوب على ذراع المقعد، فصدمته بمرفقها ووقع على الأرض، فأخذ كال يستيقظ ببطء فاتحاً عينيه بثقل ولكنه سرعان ما توتر حينما شاهدها في الغرفة. ظهرت الدهشة في عينيه، ثم تسلل الابتسام إليهما والتوت أطراف فمه.. مدّ يده قائلاً بهدوء:

ـ مرحباً.. كنت أراك في منامي.

نظرت إلى يده بقرف مرير:

ـ أحقاً كنت تراني؟ أكنت ترى أنني وجدت دفتر ملاحظاتك واكتشفت أنك تسجل فيه مذكرات سرّية عن كل ما أقوله؟

لاحظت تصلّب جسده، وضاقت نظرة عينيه، وهو يحاول فهم ما تقول.

رمت الدفتر إلى خصره، تفاجئه به، فاضطرّ للتقوقع لالتقاطه. لم تنتظر سماع أكاذيبه بل هرعت حافية القدمين ولكنها مهما كانت

سريعة، لن تستطيع الفرار من نفسها ومن البؤس الذي اجتاح كل زاوية في تفكيرها.

* * *

٦ ـ انتبهي! خطر!

ركضت بسرعة ترتقي الأدراج فوصلت إلى منتصفه قبل أن تحس بكال يلحق بها. كان ما يزال نعسان على التفكير بسرعة، ساقيه أطول وأقوى من ساقيها، فتقدم إليها بسرعة. وعندما وصلت إلى غرفتها صفقت الباب وأسرعت تقفل المصراع، في هذه اللحظة اصطدم جسمه بالباب فارتجّ الباب كله. عندها ارتدّت ويلو تتساءل ما إذا كان ينوي تحطيمه مثل أبطال الأفلام. لم تستبعد الأمر، وتمنت لو يقدم على ذلك، فالعنف قد يشفي الانفجار الذي تحسه في داخلها.

لكن كال، توقف مفكراً، ثم طرقت يده الباب:

ـ ويلو! ويلو! لا أدري ما تفكرين فيه، لكنك استنتجت استنتاجات خاطئة ولم تمهليني حتى الوقت للشرح.

ـ اذهب من هنا!

كانت غاضبة غضباً يدفعها إلى تكسير كل شيء. لقد قطعت على نفسها وعداً بألا تسمح لرجل بإبكائها ولكن كالمر استطاع.. مسحت عينيها بيد مرتجفة. حمقاء.. يجب أن تكون هذه المرة الأولى والأخيرة. يجب ألا يتكرر ما جرى ثانية. الرجال لا يوثق بهم. متى تفهم ذلك؟ لقد أقنعت نفسها أكثر من مرة في الماضي ومع ذلك، استطاع كالمر أن يخترق دفاعاتها في بضعة أيام.

ـ افتحي هذا الباب! لا يمكنني الصراخ من خلفه.. كيف نستطيع أن نتكلم وأنت لا تسمحين لي برؤيتك؟

لكنها كانت ترى نفسها في المرآة، فنظرت إلى صورتها بقرف ووجدت أنها تبدو كفأرة صغيرة محمرة العينين، تهرب من قطة دفعتها إلى زاوية.. سمعت كال يقول:

ـ ويلو.. حسناً.. ابقي هناك، لكن اصغي.. ويلو؟ أتصغين إليّ؟

انتظر لحظات لكنها امتنعت عن الرد ثم دخلت إلى الحمام وفتحت المياه التي أصدرت أصواتاً أخفت صوته. فليكلم الباب إن شاء، فهي لن تصغي. تركت فستان نومها يقع أرضاً ثم وقفت تحت المياه الباردة التي قرصتها برودتها وهي تتظاهر بعدم الإصغاء ولكنها تساءلت عما إذا كان ما زال هناك يتحدث إلى نفسه. وليته يفعل لأنها ستشمت به.

لكن هذا أمل ضئيل، فرجال ككالمر لا يتحامقون. ربما يستغفلون الآخرين، ولكنهم لا يستطيعون استغفال أحد إلا إذا سمح الآخرون لهم بذلك. وفي هذه الحال، يكون المرء هو من يستغفل نفسه... ما الذي فعله بتلك المذكرات؟ أينشرها في مجلة ما؟ أهو صحافي رغم كل شيء؟

عادت إلى غرفة النوم، وطفقت تبحث عما ترتديه. منفعلة غاضبة حتى كرهت كل ما تملكه من ثياب، كانت ترميها جانباً بنفاذ صبر بعد نظرة واحدة إليها.

صدر صوت من مصراعي النافذة النصف مغلقة، فنظرت إلى المرآة بدهشة.. هل اصطدم عصفور بالنافذة؟ ولكن قلبها كاد يقفز إلى خارج حنجرتها حين شاهدت قدماً تنتعل حذاء رياضياً اندفعت، فانفتحت مصاريع النافذة تصدر أصواتاً.. فجأة أدركت ما يحدث، فركضت إلى النافذة وأقفلت المصاريع الخشبية مرة أخرى.. ولكنها توقفت مرتبكة مشوشة، فقد تذكرت أنها لا ترتدي شيئاً... ارتدّت

إلى الوراء فتناولت منشفة لفّت نفسها بها حتى الركبتين. لكن هذا التأخير جعلها تخسر فرصة إبقاء كال في الخارج، فما أن حاولت الرجوع إلى النافذة ثانية حتى كان يلج الغرفة، وكأنه طرزان. كانت ذراعاه مرفوعتين للإمساك بحافة النافذة وقدماه تدخلان من النافذة المفتوحة وجسده يتبعهما وكأنه راقص ليمبو ولكنه لم يسقط جيداً بل ارتمى على الأرض تحت قدميها رافعاً عينيه ضاحكاً.

لكن ويلو لم تكن تضحك..

ـ ماذا تظن نفسك فاعلاً بحق الله..؟ كدت تقتل نفسك! ما هذه الحماقة؟

لا شك في أنه قفز من شرفة غرفته الملاصقة محافظاً على توازنه بواسطة الدرابزين الحديدي، ومن هناك ركل خشب نافذتها.. كانت مخاطرة ولكن غضبها في تلك اللحظات أنساها كل أسباب عدائها الأخرى، ثم تذكرت فاتجهت إلى الباب تفتح الرتاج قائلة:

ـ اخرج من غرفتي.

توقعت أن يدفعه غضبها البارز إلى الخروج. ولكنه جلس واضعاً ذراعيه حول ركبتيه ممعناً النظر فيها. فقالت وهي تمسك الباب مفتوحاً:

ـ لن تخدعني مرة أخرى... لقد قرأت المذكرات.. لا أدري ما تخطط إليه.. ولكن إذا نشرت كلمة واحدة فسأطلب من المحامي أن يكلم «مجلس الصحافة» ليرفع شكوى ضدك، فأنت لم تقل إنك تجري معي مقابلة. لذا يعتبر حديثنا خاصاً.

كان صوتها مرتجفاً، ووجهها متورداً.

ـ لم أكن أعلم أنك تحاول انتزاع المعلومات مني بشأن أبي.. أنت أفعى كاذبة، متسلل، جرذ حقير...

هبَّ على قدميه: «ويلو»

ـ ساقط، ذو وجهين، دودة كريهة.

ـ لقد قرأتِ ما كتبت.. ألم تفهمي أنني كتبت ما ذكرته لئلا أنساه؟ أهناك ما يحول دون أن أدوّن مذكرات تتعلق بما تحبين أكله أو ربما تحبين قراءته أو ما لون عينيك حين تضحكين؟

أحست بجفاف مؤلم في حنجرتها، وخطا كال إليها، لكنها رفضت اللين، فنظرت إليه بازدراء تكمل بصوت لم تستطع منعه من الارتجاف:

ـ مزيف.. غشّاش، نذل معسول الكلام... لا تحاول إقناعي بكلامك، ليس بعد الآن. لا أريد سماع شيء.

اقترب أكثر:

ـ أنا أدوّن مذكراتي اليومية! ألا تفعلين أنت هذا؟

ـ لم تكن تلك مجرد مذكرات!

ـ ليست مقسمة إلى أيام منفصلة.. أحياناً لا أجد ما أكتبه وأحياناً أكتب عدة صفحات.. لكنني أسجّل التاريخ، وبهذه الطريقة لا أخسر الكثير من الصفحات. لقد لاحظت أنني أسجل كل ما يحدث لي يومياً؟

اضطربت، ثم عبست فهي لم تعد متأكدة فجأة. ماذا إن كان يقول الحقيقة؟

ـ لم ألاحظ أي شيء من هذا القبيل.

ـ أهنئك على براعتك في الاختزال.

كان يقترب منها، فمدّ يده إلى الباب يغلقه أما هي فكانت مرتبكة من قربه فلم تفكر في الجدال.

ـ أعرف من الاختزال ما جعلني أفهم أن معظم ما دوّن كان عني.

ـ بالضبط.

شاهد كال الضعف في عينيها فمدّ يده ليضعها فوق يدها

فانتزعتها مرتدة إلى الباب.

ـ لا تلمسني!

ـ لقد نعتني بنعوت في غاية السوء.

كانت لمحات رضى تلوي أطراف فمه عندما وضع يديه على جانبي رأسها ليأسرها. فقالت وكأنها تفكر عالياً:

ـ لم أرَ شيئاً منك في تلك الملاحظات بل جمل لا تتحدث إلا عني وعن والدي.

بدا صبره نافذاً، فقد انخفضت إحدى يديه بسرعة ولم تعرف ماذا يفعل حتى رأته يضمّها إليه فارتدّت بسرعة وشهقت بغضب.

رفعت رأسها نحوه مذهولة، وبدأت ترتجف بعنف. كانت غاضبة، مشوشة، منقسمة الأفكار خائفة بعض الشيء.

لكن انفتاح الباب الفجائي كان بمثابة دوش من الماء البارد فذعرا وانفصلا متساءلين.

كان وجه مارشا مضحكاً.. ولو أنهما في مزاج آخر لانفجرا بالضحك.. وجهها متورّد وعيناها واسعتان كالصحن أما فمها فكان يتمتم.

ـ آسفة... أنا... أووه.. آسفة...

وصفق الباب مجدداً ثم سمعا صوت تعثّر قدميها وهي تعود أدراجها إلى غرفتها.. تمتم كال بشيء ما من بين أسنانه، ثم راح يمشط شعره بأصابعه.. أحست ويلو وكأنها عادت من رحلة إلى كوكب آخر، أما عقلها فما زال هناك.. كانت تحس بانفعال عاطفي.

قال كال بمرح خشن، وقد بدأ يستعيد توازنه:

ـ لم يكن توقيتاً صائباً إطلاقاً!

ـ أرجوك.. اذهب من هنا..

ماذا فكرت مارشا؟ ما هذا السؤال الغبي؟ أنت تعرفين ما ستفكر فيه، وهي محقة في ما ستفكر. فلو تأخرت دقيقتين أخريين لقاطعتهما في ما هو أشد إحراجاً.

جلس كال على حافة السرير، دون أن يحاول لمسها ثانية:

ـ اللعنة على مارشا.. في المرة الأولى التي تستيقظ فيها قبل موعد الغداء تكون الآن.

فيم كان يفكر يا ترى؟

قال لها بنفاذ صبر أجش: «لا ترتجفي هكذا».

ـ لا أرتجف.

لكن أسنانها كانت تصطك. أبسبب الصدمة يا ترى؟ لقد سمعت يوماً أن الصدمة تشعر الإنسان بالبرد.

ضحك كال:

ـ إذن.. شاهدتنا مارشا.. وماذا في الأمر؟ إنها فتاة تملك تجربة وهي غير راهبة البتة.

ـ مع ذلك كان الموقف محرجاً.

ذعرت مارشا عندما شاهدتهما وهي تفهم ما فكرت فيه. فماذا كانت ستفكر هي نفسها لو فتحت الباب فوجدت امرأة بين ذراعي رجل. قالت بأدب وكأنه غريب:

ـ أتسمح بالانصراف؟

ـ يجب أن نتحدث.. ثمة ما يجب أن نقوله.

ـ لا.. لا مزيد.. أرجوك.

ـ نحن لا نجيد الكلمات بل إننا نتفق أكثر بدون الكلمات.. هل لاحظت هذا؟ كلما حاولت التحدث إليك شعرت بأنني أحاول المرور عبر حائط وضعته حول نفسك.. إنه موجود الآن حتى أكاد أراه.

تحرك نحوها.. فصرخت:

ـ لا تلمسني..

أسبل يده إلى جانبه، ووجهه غاضب:

ـ لا شك في أن طفولتك كانت مرعبة لتشعري بما تشعرين به تجاه الرجال. كم كان عمرك حينما انفصل والداك؟

ـ لم ينفصلا قط. ما زالا زوجين وآدم ما زال يزورها.. وما زال يقول إنها زوجته.

ـ وماذا تقول هي؟

ـ لم تلفظ كلمة واحدة ضده.. ليس أمامي، ولا أمام دايف.. لو استمعت إليها لآمنت أن زواجهما كامل.

رأت التكذيب والسخرية في وجهه وهو يبتسم:

ـ لكنني مستعد للمراهنة على أنها متأكدة من معرفتك لتفاصيل علاقاته.. وأعتقد أنها كانت تنتحب باكية، ولكنها كانت تظهر الشجاعة والمعاناة في ابتساماتها. أوه. ويلو... هذا أمر قديم.. الأطفال يُستخدمون أدوات في لعبة شريرة للحرب الزوجية.

ارتجفت غضباً، وانفجرت:

ـ أنت تتحدث عن أمي.. تذكر هذا! أعرفها أكثر منك!

ـ إنها أمك ولكنها زوجة آدم أيضاً. ولقد أعطاها أسباباً كافية لتكرهه.

ـ أنت لا تعرفها! إنها لا تكرهه! والله.. وحده يعرف السبب، فإن كانت تكرهه فلماذا تكذب عليّ بشأن شعورها؟ لقد سألتها مراراً لماذا لا تطلب الطلاق؟ وهي تعرف أنني لن أصدم أو أتألم لو طلبت.

ـ ألم تقولي إنها لم تناقش أمره معك؟

ـ حاولت أحياناً أن أتحدث عنه ولكنها كانت ترفض.. إنها

مخلصة له. ولم تحاول قط استخدامي ودايف سلاحاً. وكيف تستطيع على أي حال ونحن لا نكاد نعرف أبانا؟ إنه لا يعني شيئاً لأيٍّ منا.. لم يكن معنا يوماً. أمُّنا من ربتنا، ومن حافظت على تماسك البيت. كان يفاجئنا بوصوله من وقت إلى آخر. ولم يكن يهتم إذا كنا نعرف شيئاً عن علاقاته أو لا، بل لقد تساءلت عما إذا كان يتذكرنا عندما يكون في لندن مشغولاً بعمل مسرحي.

ـ ولكنكما رغم كل شيء ولداه، وولداها. يعتبر مجرد حفاظها عليكما معها استخداماً ضده. إنه من البشر.. ولا ريب أن يهتم بلحمه ودمه.

ضحكت بسخرية متوحشة:

ـ إنه ليس من البشر.. إنه ممثل، وهو أول من ينكر أنه من لحم ودم. ألم تسمع؟ آدم لوبرن إله من الآلهة... قام أحدهم باستطلاع للرأي بشأن أكثر الرجال شهرة بين النساء بعد الحرب، وجاء هو في رأس اللائحة!

سحب كال نفساً عميقاً ثم هزّ رأسه:

ـ وأنت تدّعين أنه لا يعني لك شيئاً! يا إلهي ويلو... الرجل نحتك بيده.. فطباعك وطريقة عيشك وطريقة تفكيرك، كلها متأتية من كيان آدم لوبرن. وأنت تكرهين الرجال لأنك لا تثقين بأبيك. تشعرين بالمرارة والغضب منه ولكنه يسحرك.. أليس كذلك؟

ـ ربما كما تسحرك الأفعى.. ربما هذا ما...

قطعت ما كانت ستقوله دون حذر، لكن عيني كال ضاقتا تراقبانها بتفهم بارد:

ـ ربما هذا ما ترينه فيَّ؟ أحسست أنك تصنفينني كأبيك.

ـ لا أريد الكلام عنه! لماذا تصرّ على أن أبوح لك بهذا كله؟ هل ستكتب ما أقوله في مذكراتك المزعومة ما إن تنفرد بنفسك؟ أنا لا

أثق بك أبداً... كيف أعرف حتى ما هو اسمك الأصلي..؟ أين هو جواز سفرك؟ أثبت لي أنك كالمر ديكستر. أرني عقداً ينصّ على استئجارك هذه القيلا.. أخبرني عن سبب اهتمامك هذا بعائلتي؟

لديها أسئلة وأسئلة ولكن صوتها كان يرتجف وجسدها يرتعش حتى العظام. كان كال ينظر إليها وتعبير غريب في عينيه. لم تكن تدري أكان ارتباكاً أم تشوشاً، ولكنه وقف أخيراً وتوجّه نحو الباب قبل أن يرد:

ـ جواز سفري في غرفتي.. بإمكانك رؤيته متى شئت!

ـ هل يحدد الجواز كاتباً مسرحياً أم صحفياً؟

فتح الباب وقال بصوت بارد هادىء:

ـ صحفياً في الواقع ولكن عمر الجواز خمس سنوات. حين أحصل على جواز جديد فسأغير فيه مهنتي.

ـ أوه.. طبعاً!

نظر إليها بحدة، ثم خرج تاركاً الباب يصفق وراءه.

عادت ويلو إلى الحمام لتستحم مرة أخرى، إنها بحاجة إلى هذا. فركت بالليفة جسمها الذي تكرهه فقد خانها على الرغم من أنها أقسمت ألا يخدعها رجل، لقد رغبت بكال، ولا يمكنها أن تتظاهر بأنه يستخدم معها القوة ليغويها.

ارتدت جينزاً وقميصاً قطنياً أزرق اللون، ثم نظرت إلى نفسها بازدراء. ربما فيها من أبيها أكثر مما تتصور.. لماذا لم يظهر لها هذا من قبل؟ ربما لا تشبهه شكلاً ولكنه أورثها ذلك الضعف الذي جعله ينتقل من امرأة إلى أخرى.. مع أنها لم تبدأ بذلك حتى الآن، غير أنها لم تستطع مقاومة ضعفها أمام حاجتها العنيفة التي شعرت بها نحو كال... كانت رغبة حارقة لم تحسَّ بها قط تجاه أي رجل. في الماضي لم تكن قد سمحت لنفسها بالتورط مع أي شخص خوفاً من

أن تثور هذه المشاعر.. كانت تلعب دائماً إنما بحدود آمنة سالمة. تنتقي الرجل الذي تعرف بغريزتها أنه لن يغويها. وقد علمت من النظرة الأولى أن عليها إبقاء كالمر ديكستر بعيداً عنها لأنه مدموغ بعبارة «تعامل بحذر» وهي مكتوبة في كل مكان فيه.

نزلت إلى الطابق السفلي مستعدة له إذا ما وجدته بانتظارها. ولكنها وجدت صديقتها في المطبخ تحتسي القهوة وتأكل الكرواسون. فتضرّج وجهها حياء ولكن مارشا أسرعت تقول:

ـ ثمة قهوة طازجة.. لم أشرب عصير البرتقال لأن البرتقال نفذ، أما هذه الكرواسون فقاسية، فاسدٌ طعمها. أعتقد أن علينا شراء المزيد ولكن الخبز قد يكون أفضل حالاً.

ـ لا.. شكراً لك.. سأقوم بنزهة في السيارة، خلالها أشتري بعض المواد الغذائية، وقد أتناول وجبة صغيرة في المقهى.. أراك فيما بعد.

قفزت مارشا تبتلع لقمتها: «سأرافقك».

سارعت ويلو إلى السيارة لأنها تريد الابتعاد عن القيلا قدرالمستطاع لئلا يعرف كال أنها ذاهبة.. نظرت مارشا إليها باستغراب وهي تبتعد عبر البوابة.

ـ هل نحن هاربتان؟

ـ لا أريد رؤية كال فترة.

ـ لم أكن أعرف... أنكما... على...

امتقع وجه ويلو: «لم نكن!»

ـ أوه.. دعك من هذا. ما أنا بأمك لذا لا حاجة للتلاعب بي. لماذا لا تفعلين معه ما تشائين إذا كنت راغبة؟ لكنني دهشة فقط. كنت تبدين على خصام معه طوال الوقت.. ولكن أموراً كهذه تجري دائماً أليس كذلك؟ كلما ازداد الإعجاب فيما بينكما تفاقم الخصام.

ـ العداء وجه من وجهي قطعة النقود أما الجاذبية فالوجه الآخر. تعلمنا هذا من كتب المدرسة. هل أنا واضحة إلى هذا الحد؟

ـ لا أدري.. هل أنت واضحة؟

بدأت ويلو تضحك:

ـ أليس الأمر مضحكاً؟ أظنني واضحة.. وأعتقد أن هذا هو سبب تدوين تلك الجملة في الكتب، لأنها تناسب الكثير من الناس، وربما تفسر أسباب كثير من حالات الطلاق.. قد تتمتعين بالصحبة، لكنكما لا تستطيعان العيش معاً.. دون أن يثور أحدكما على الآخر بعد أيام.

بدا القلق على مارشا فقالت متنهدة:

ـ آه.. عزيزتي. لن تفعلي هذا بكال؟ أم تراك خائفة من أن يفعله بك.

ـ قد تحدث الحالتان.

ـ يقال إننا نختار الرجال بناء على تأثيرات طفولتنا. أعني، إذا كان أبواك يتشاجران دوماً، فستكررين سيرتهما حين تتزوجين.

ـ لم يحدث أن تشاجر والداي قط، ولم يحدث أن سمعت صوت أحدهما يرتفع في وجه الآخر.

ـ أما والداي فكانا يتجادلان كثيراً ويضحكان كثيراً أيضاً.

دخلت ويلو إلى القرية عابسة فوقفت خارج مقهى فيه عمال يتناولون فطورهم على الطاولات الصغيرة. حدقوا إلى الفتاتين أثناء توجههما للجلوس. سألتهما امرأة من وراء المقصف:

ـ ماذا تريدان؟

ابتسمت ويلو وطلبت القهوة والكرواسون. القهوة التي قُدّمت لهما كانت قوية أما الكرواسون فكان طازجاً لذيذاً. سألت ويلو:

ـ أليس أنطوان صديق كال؟ منذ متى يعرفه؟ هل أخبرك؟

ـ أجرى كال مقابلة معه منذ سنوات وربما في تلك المقابلة التقيا للمرة الأولى.

ـ مقابلة؟ للصحيفة؟

ـ أظن هذا.. لم أكن مهتمة بالأمر فلم أسأل. ألم يخبرك بأنه كان صحفياً؟

ـ قال لي.. أيعرف أنطوان انه كاتب مسرحي؟

ـ طبعاً يعرف. أرسل له بطاقات ليلة الافتتاح في آخر مسرحية. وقال أنطوان إنه حين يأتي إلى لندن سيصحبني للعشاء في أفضل مطعم إيطالي.. هل سيتذكر وعده؟ إن العلاقات الغرامية في العطلات متشابهة دائماً. تتلقين وعوداً كثيرة ولكنك بعد أسبوع تنسين حتى اسم رفيقك!

سدّدت ويلو الفاتورة: «لن تنسي أنطوان بهذه السهولة».

ـ لكنه قد ينساني.

توجهتا إلى المحل المقابل للمقهى فوجدتاه فاتحاً أبوابه منذ برهة. كانت رائحة الخبز الطازج تسيل اللعاب، مع أنهما تناولتا الكرواسون قبل قليل. ما هي إلا عشر دقائق حتى ملأتا عدداً من أكياس الورق بالطعام ووضعتاها في صندوق السيارة.. وابتعدتا.

ـ أنعود إلى الڤيلا؟ (سألت مارشا)

هزت ويلو كتفيها:

ـ أفكر في التنزه قليلاً أولاً.

ـ اقترح أنطوان أن نتناول الغداء في مطعم اليوم.. يقول إن منظر المطعم مطل على منظر رائع. سنأكل ونتفرج على المناظر الرائعة في آن واحد.

ـ ربما تكون الريح قوية هناك؟

ـ آه دائماً تعترضين. ألا تريدين مرافقتنا؟ سيصحبني أنطوان

ظهراً، لكنني أريد أن ترافقينا وكال. سنفرح أربعتنا كثيراً.

ـ أحب أن أرافقكما.

لم تكن تريد البقاء وحدها مع كال خاصة في الڤيلا التي قد يحدث فيها شيء ما بينهما، ولكن عقلها تهرّب مما كان يعنيه هذا. سألت مارشا:

ـ أنجد محلات في المنطقة؟

ـ ثمة كاتدرائية فيها ساحة جميلة تتوسطها بركة. أتريدين رؤيتها؟

ـ أريد رؤية المحلات.. أو شراء صندل جديد. فقد أفسدت أفضل ما عندي حين سرت في مياه البحر، تلك الحصى كانت تؤلم قدماي.

أمضتا بعض الوقت بالتجوال في شوارع البلدة القديمة، وبقيتا فيها حتى الحادية عشرة. وعندما وصلتا إلى الڤيلا وجدتا سيارة حمراء أمامهما. نظرت إليها مارشا بإثارة.

ـ لا شك أن أنطوان بكّر في المجيء ولكنها ليست السيارة التي كانت معه بالأمس. كانت سيارته بورش، وهذه فيات!

ـ لا شك أن كال أحضر سيارته من الكاراج أخيراً... والآن فليرحل.

كانت تفكر بصوت مسموع فنظرت إليها مارشا مؤنبة:

ـ لن تدعيه يرحل حقاً.. أليس كذلك؟ ظننت أنكما...

ـ لا.. لسنا كما تظنين..

جمعت أكياس المشتريات من صندوق السيارة، أما مارشا ففتحت باب الڤيلا، وبعد أن فتحته سمعت ويلو تصيح بها:

ـ هاي خذي هذا الكيس.. لا أستطيع حملها جميعها وحدي.

كانت مارشا تلتفت إليها حين سمعتها ويلو تشهق بصوت مرتفع

وتصيح (ويلو!) فنظرت ويلو إلى الڤيلا.. هل دخلت سحلية إلى الداخل؟ مارشا ترتعب منها وتخاف من الفئران والعناكب، بل من كل ما يزحف، أو يدب أو يسعى. وخوفها المتأصل قديم العهد.

ـ ما الأمر الآن؟

ابتسمت ويلو تستعد لطرد ما أخاف مارشا من المنزل، ثم جمّدت الصدمة وجهها، فقد رأت ما أجفل مارشا..

كانت أمها تخرج من المطبخ.

* * *

liilas
rayqh

٧ ـ الحياة بالأبيض والأسود

رمت ويلو الأغراض إلى ذراعي مارشا وهرعت إلى أمها فتعانقت الأم والابنة بحرارة.

ـ ماذا تفعلين هنا؟ ثمة خطب ما؟ لماذا جئت؟ هل أنت وحدك؟

ـ هدّئي روعك ويلو. ليس هناك ما يدعو للذعر.

كان وجه بيرتا هادئاً كالعادة، فهي امرأة كانت دائماً واثقة من نفسها هادئة، لا يبدو أنها تندم أو تقلق على الرغم من حساسية ورقة تقاسيم وجهها الرائعة.. حين كانت ويلو تنظر إلى أمها، كانت تظن أنها تنظر إلى نفسها، بعد ثلاثين سنة.. لهما الطول ذاته والبنية نفسها والنحول والبشرة ذاتها، إلا أن شعر بيرتا الأسود أصبح فضياً، والخطوط حول فمها وعينيها عميقة.

ـ لماذا لم تخبريني بقدومك؟

ـ لم يتسنَّ لي الوقت. يجب أن أقنع دايڤ بمد هاتف لهذه الڤيلا، فمن السخافة ألا نستطيع الاتصال حين تكونين أنت أو هو هنا.

كانت مارشا قد دخلت المطبخ لتضع الحاجيات.

ـ مرحباً سيدة لوبرن.. كيف حالك؟

ـ مرحباً مارشا.. أنا بخير.. كيف حالك أنت؟ لقد نلتِ اسمراراً رائعاً.

ـ أوه.. صحيح.. نحن نقضي عطلة رائعة.. كان ولدك في

غاية اللطف حين سمح أن يعيرنا هذا المكان الجميل.. لقد أحببته.

ـ لكنني لم أتعلق كثيراً بهذا الجزء من إيطاليا، فأنا لا أحب الحرارة التي تمتص الطاقة.

ـ أعرف ما تعنين..

راحت تشير إلى ويلو من وراء ظهر بيرتا، وتدير رأسها نحو المطبخ وترفع حاجبيها ثم أكملت بأدب:

ـ لماذا لا أعد لك بعض القهوة؟ أم تفضلين الشاي؟

ـ كنت على وشك أن أفعل هذا، شكراً لك. أريد محادثة ويلو على انفراد. سندخل غرفة الجلوس فأمهلينا خمس دقائق إذا سمحت؟ ورجاء أعدي الشاي.

ـ حسناً.

عندما ابتعدت بيرتا همست مارشا لويلو:

ـ أين هو كال..؟ أتعرف بوجوده؟

لاحظت ويلو النظرة الخلفية التي رمقتها بيرتا بها وابتسمت:

ـ أظنها تعرف.. ربما خرج وربما هو في المسبح!

ـ أهذه سيارته أم سيارة أمك؟

ـ سأسألها. وإن ظهر اطلبي منه أن يبقى بعيداً عن غرفة الجلوس حتى أنهي حديثي معها.. أرجوك!

ـ طبعاً.. سأكون التكتم عينه. لكنك فتاة كبيرة الآن، ولا أحسبها تصاب بصدمة.

ـ لم أعنِ هذا..

تبعت أمها إلى غرفة الجلوس، تقفل الباب الزجاجي خلفها.. كانت بيرتا قد جلست على الأريكة البيضاء محتبية، تُمسك ذراعاها ركبتيها. بدت طفلة بشعرها الفضي، وعينيها الزرقاوين الثابتتين البرّاقتين.

جلست ويلو على البساط وذقنها على ركبتها، تواجه أمها الجالسة على بعد أقدام قليلة:

ـ هل أنت هنا بسبب الرسالة التي سجّلها هاتف آدم؟

أضحك هذا الهجوم أمها:

ـ تصوبين إلى الهدف مباشرة كحالك دائماً. اتصل بي حالما أن سمعها.. لقد أرعبته الرسالة. كان كلامه غير واضح في البداية، لم أفهم منه رأساً من ذنب.

التوى فم أمها بحنان، وهو حنان كانت تراه دائماً كلما تحدثت والدتها عن آدم. نظرت إليها بحيرة، فقد كان والداها لغزاً عجيباً ولم تكن تفهمهما أو تفهم طبيعة علاقتهما.

قالت بصراحة بعيداً عن الدهشة:

ـ أعتقد أنه لم يسمح لكالمر ديكستر باستخدام الڤيلا.

ـ الأمر معقد أكثر من هذا.. تعرفين أن آدم مثّل مسرحية كال الأولى...

ـ الخيانة الخرساء.. أجل.. أعرف.

ـ يومذاك قال له آدم إن بإمكانه استخدام الڤيلا متى شاء، وأنت تعرفين مدى استهتاره بـ...

ـ بأملاك الآخرين!..

ـ هذا غير منصف ويلو.. لقد ساعد والدك دايف على شراء الڤيلا. ومن المتفاهم عليه أنه وأصدقاؤه يستطيعون استخدامها إذا كانت فارغة.

ارتفع صوت بيرتا بعناد، وعبست:

ـ حسناً.. أنا آسفة.. أعرف أن دايف يسمح لآدم باستخدام المكان متى يشاء.

ـ حسناً.. وهكذا عرف كالمر ديكستر بالڤيلا. ولكن آدم بكل

تأكيد لم يعطه المفتاح، ولم يكن لديه فكرة أنه هنا حتى استلم رسالتك.

ـ هذا ما كنت أرتاب فيه.. دايف يحتفظ بمفتاح في كوخ الحديقة ويبدو أن كالمر حصل عليه من هناك.

ـ لا.. بل حصل عليه من ممثلة كانت تقيم هنا منذ بضعة أشهر. كانت تحتفظ بالمفتاح ولم تعطه لآدم.

أجفلت ويلو تنظر إلى أمها: «ممثلة؟»

استطاعت أن تقرأ القصة من وجه بيرتا.. كيف لها أن تكون بهذا الهدوء؟

ـ مثّلت في الخيانة الخرساء.. اسمها بينا وايد.. فتاة طويلة ذات صوت رخيم جميل. تذكرينها، أليس كذلك؟ فهي من مثّلت دور السكرتيرة.

ـ أذكرها.

قطبت ويلو لأنها تذكرت شيئاً آخر. بينا هو الاسم الذي ذكرته تلك المرأة لكال في قيلا ميديتشي..

ـ هذه الفتاة هي من أعطت كال المفتاح.

ـ آدم يظن هذا.

ـ ولم يسألها؟

ـ لم يكن قد تمكن من الاتصال بها حينما اتصل بي. إنها تقوم بزيارة لأقاربها.

صمتت بيرتا عندما قرعت مارشا على الباب قبل أن تدخل حاملة صينية الشاي. قالت الأم:

ـ أوه.. شكراً لك مارشا.. ضعيها على الطاولة لو سمحت.

ـ حملت أيضاً بعض الخبز الممزوج بالحليب وإن كنت لا تريدين فهناك بعض البسكويت.. هل أصبّ الشاي لكما؟

وقفت ويلو:

ـ لا.. سأصبه بنفسي مارشا.

ـ حسناً.

ابتعدت مارشا برشاقة مقفلة الباب وراءها بهدوء.

ـ إنها فتاة طيبة. (قالت بيرتا)

ـ جداً.. ما هي العلاقة بين كالمر ديكستر وبين تلك المرأة وايد؟ أهي حب قديم له، كما أعتقد؟

هل أنهت علاقة آدم بها؟ لم تكن كل النساء اللواتي يتخلص منهن يقطعن علاقتهن به.. فلسبب ما تبقى الكثيرات منهن على صداقة معه. أي سحر يستخدم؟ كيف يقنع النساء بالغفران له بعد إنهاء علاقته معهن؟

ـ أوه.. عزيزتي.. أعتقد أن كال أحبها فقد كان يعرفها قبل بدء المسرحية وهو من طرح اسمها للمشاركة بذلك الدور. كانت جديدة على المسرح، لذا حدثت بعض المتاعب معها. أراد آدم استخدام ممثلة أخرى، لكن كال نفّذ ما يريد وتبين أنها موهوبة حقاً وكان أن نجحت بدورها نجاحاً عظيماً.

تمتمت ويلو:

ـ نجحت على الأقل مع آدم.. أرى الصورة الآن. اتصل بك آدم مذعورا فهرعت مجتازة هذه المسافة كلها لتقولي إن لا حق لكالمر ديكستر باستخدام القيلا. كنت قادرة على إرسال برقية ولكنك فضلت الطيران فورا مما يعني أن هناك شيء خطير وراء هذا كله. ولا يحتاج المرء إلى العبقرية ليعرف ما يجري.

ـ لا تكوني سيئة الطباع!

ـ لست سيئة الطباع!

ـ ربما لست كذلك لكنك طبعاً حادة الطبع. أتيت لأن آدم بالغ

بردة الفعل.. إنه يقوم بمسرحية أخرى لذا لم يستطيع الحضور بنفسه ولأنني لم أكن أريد أن يصل إلى ذروة الغضب عرضت عليه المجيء. تعرفين إلى أي درجة هو طفل.

ـ طفل؟

ضحكت الأم وقد اكتسح الدفء عينيها:

ـ أوه.. أجل ويلو. طفل مدلل ليس عنده مكابح أو سلطة. وليس بقادر على منع نفسه من أن يكون هكذا، فهذا جزء من موهبة مذهلة.. إنه يهب نفسه كلياً لما يقوم به ولكنه سرعان ما يحترق فقدرته على التركيز محدودة، وهذا بسبب القوة التي يعطيها للأشياء. ولهذا ترينه يكره أي شيء على المدى الطويل، فهو لا يستطيع الاهتمام بشيء ما مدة طويلة، وحين يضجر، يفقد قدرته.. وما أكثر ما يضجره!

ـ أيضجر من النساء كذلك؟

ـ طبعاً.. إن رجلاً كآدم يختلف كثيراً عن الآخرين. هو أعمى عن أية مشاعر حقيقية، لكنه على المسرح يفهم العواطف جيداً.. أما وهو بعيد عن المسرح، فيرتبك ويحار في أمره وبمعنى آخر يا طفلتي هو جزء لا يتجزأ من الدور الذي يمثله، ولهذا يقع في الحب دائماً إنما ليس بشكل حقيقي فما مشاعره التي تتولد إلا نتيجة سحر الدور الذي يقوم به. ألم تلاحظي أنه دائم التعلق بالممثلات اللواتي يشاركنه التمثيل؟

قطبت ويلو تفكر في السنوات الخوالي.. هل هذا صحيح؟ راحت تمر في رأسها وجوه وأسماء وأدركت دهشة أن أمها على حق وهذا ما لم يخطر على بالها قطا

ـ أكان يمثل طوال الوقت؟ مع كل واحدة منهن؟

ـ وغالباً ما كنَّ يمثلن كذلك.. حين يعطي الممثل نفسه للدور

فهذا يعني أنه لا يعي شيئاً خارج المسرحية.. ومن الصعب جداً الخروج إلى الحياة العادية بعد نزول الستارة مباشرة، ففي المسرح يتقارب الجميع فيظن كل منهم أنه يعرف الآخرين وهذا وهم طبعاً..

ـ أتحاولين القول إنَّ علاقاته الغرامية لم تكن تعني شيئاً له؟

ـ ربما علاقة أو علاقتان أما ما تبقى فمجرد لعبة. إنه يحب أن يقع في حب جديد لأن ذلك يشعره بالشباب. يحب طقوس الحب، يحب إرسال الزهور والدعوة إلى عشاء خاص منعزل بعد المسرحية، كما يحب الاحتفاظ بأسرار خاصة وهو متعلق بما يشعر به من وراء هذا كله.

ـ أمي.. كيف تستطيعين التحدث عن الأمر بهذه الطريقة؟ كيف تأخذين الأمر بهذه الخفة؟ ألا يؤلمك ما يحدث؟

ـ إنه يزعجك أكثر مما يزعجني. أنا أحب والدك حباً جمّاً، وأنا فخورة به.. إنه رجل عظيم بطريقته الخاصة.. ولكنني لا أغار من الأخريات لأنني لم أعد أحبه، فلا يمكنك أن تحبي رجلاً ترينه بمثل هذا الوضوح.. ليس أمامي أي غموض أو سرّ.. والحب نصفه غموض، غموض الاكتشاف أن الشخص الآخر مختلف، منفصل، وغامض. لقد أصبح آدم الآن ولدي أكثر منه حبيبي، وهذا ما هو عليه منذ سنوات. إنه بحاجة إلى رعايتي ولذا ترينه يهرع إليَّ دائماً. أنا بالنسبة له شبكة الأمان وغطاء السلامة.

وضعت ويلو فنجان الشاي على الطاولة.

ـ وهل يرضيك هذا؟ أقصد هذا النوع من الزواج؟

ابتسمت بيرتا:

ـ ويلو.. أنا لا أحب الحياة المثيرة بل أحب الحياة التي أعيشها حالياً. أحب حياتي الهادئة التي هي عبارة عن بيتي وصديقتي وأولادي وقططي.. ماذا أطلب أكثر؟ لقد كبرت على الغيرة المتأتية

من علاقات آدم الصغيرة.

ـ يبدو لي الأمر محزناً جداً.

هزت بيرتا رأسها ضاحكة.

ـ هذا لأنك رومانسية.. تظنين أن هذا كل ما في الحياة.. الحب.

ـ أوه.. لا تكوني سخيفة أمي، لم أفكر يوماً في شيء كهذا! على أي حال ما شأن وجود كال بموضوعنا هذا؟ لماذا جاء؟ وماذا ينوي أن يفعل؟

ـ إنه يكتب قصة حياة آدم.

شهقت ويلو: «أووه».

ـ أجل.. هذا ما أخشاه! حين قال له أحد الناشرين إن مؤسسته تود كتابة حياته، ابتهج آدم بالطبع.. واقترح أن يكتب كال السيرة. كان كال قد كتب شيئاً مماثلاً عن ممثلة قديمة لذا أعطاه آدم رسائله جميعها إضافة إلى مذكراته وصوره كما أذن له بالتحدث إلى من شاء بهذا الشأن ولكن بعد ما جرى تغيّر كل شيء.

ـ تقصدين بعد تعلقه بحب بيتا وايد، وفجأة لم يعد كال يحبه.

تنهدت بيرتا:

ـ بالضبط.. لكن علاقته بها انتهت في بضعة أشهر.. وهذا هو الجزء السخيف. لقد اشتعلت ثم احترقت كما تحترق الغابات التي تشتعل أحياناً أسابيع ثم تأكل نفسها. ويلو، لقد قابلت بيتا مؤخراً وهي لا تحسّ بالمرارة لفقدان آدم، بل تشعر بالمرح حيال الأمر. وأنا معجبة بها.. إنها تضحك على كل ما جرى.

ـ لكن كال لم يستطع تجاوز الأمر؟

ـ هذا ما يبدو.. مسكين كال.. تألم كثيراً، كما أخشى.

ابتلعت ويلو ريقها تحس بحلقها ساخناً من الغيرة والألم،

فجاهدت تبعد شعورها عن وجهها.. ثم قالت كمن يفكر بصوت مرتفع:

ـ وهو الآن يكتب قصة حياة آدم بغية تحطيمه أمام الناس.

ـ والدك يلوم نفسه لأن الفكرة فكرته.

ـ ألا يستطيع سحب الإذن المتعلق بكتابة القصة؟

ـ تأخر الوقت على هذا.. لقد تعاقد كال مع الناشر ودفع له مقدماً وعليه لا يعرف آدم ما سيقدم عليه كال.

ـ إن هذا بمثابة اغتيال.

بدت بيرتا مضطربة:

ـ أتظنين أن آدم محق بقلقه إذن؟ هل لكال وجه كالح؟

ـ بل وجه لا يخلو من الرحمة..

لم يؤنبه ضميره إطلاقاً عندما استغلّها بل كان مستعداً لمطارحتها الغرام للوصول إلى هدفه. قالت بيرتا:

ـ ما أخاف والدك هي الطريقة التي ظهر فيها كال هنا.. تناقلت الصحف دوماً الأخبار عن حياة آدم الخاصة، ولم يمانع في هذا ولكن ما أقلقه أن كال يحاول أن ينتزع منك معلومات تتعلق بنظرتك إلى آدم ليكتبها. يعرف أنك لا تحبينه كثيراً.

ابتسمت ويلو بتجهم:

ـ يخشى أن أعطي كال أسلحة يستخدمها ضده؟ لكنني مخلصة أكثر مما يظن.

ـ قلت له ألا يقلق، فأنت كنت ترفضين قول كلمة عنه حتى لي. وهذا ما أحمده لك ويلو. أعلم أنك كنت تنتقدين تصرفي وربما كان عليّ أن أكلمك بصراحة منذ زمن طويل. لكنني لست ممن يحب مناقشة أمور شخصية كهذه حتى مع ابنتي.. وكنت واثقة أنك لن تناقشي شيئاً عن والدك مع أي إنسان غريب.

احمرّ وجه ويلو حتى منبت الشعر. وقالت:

ـ المشكلة أن...

نظرت إليها أمها بحدة: «نعم»

ـ هو هنا منذ عدة أيام حاول خلالها طرح أسئلة كثيرة ولكنني ارتبت فيه لذا لم أقل أمامه الكثير قدر المستطاع غير أن هذا لا ينفي أنه التقط بعض التلميحات. إنه يعتمد أسلوباً خبيثاً، وهو يدوّن ما أقوله له في مذكرات.. لكنني لا أذكر أنني قلت الكثير إلا أنني في إحدى الأمسيات، كنت متأثرة به والله يعلم ما انتزعه مني.

ـ إنها غلطتي!

صاحت ويلو:

ـ أوه يا أمي! كيف تقولين هذا؟

ـ أعني ما أقول.. كان يجب أن أثق بك منذ زمن طويل. ما كان يجب أن أتركك تلومين والدك، وهو عكس ما تظنين. حاولت أن أظهر الأمر لك دون أن أكلمك.

ـ لكنني عديمة الإحساس كآدم. أظهرت لي ذلك.. لكنني لم أرَ.. بل رأيت وها أنا أتمنى لو أركل نفسي.

لقد جاء كال إلى هنا وهو يقصد أن يدفعها إلى التحدث عن أبيها.. وربما كان يعلم قبل مجيئه إلى أي حد تكره والدها! لا شك في أن آدم ذكر شيئاً عن هذا أمامه أو أمام بيتا أو أنه قد التقط شيئاً حين زار بيت العائلة لبقابل أمها. كال خبيث سريع البديهة، لا يحتاج إلى رؤية ما هو مكتوب، بل يقرأ ما وراء التلميحات دونما حاجة إلى دليل فتكفيه لبفهم نظرة، كلمة، أو صمت... قالت بصوت مرتفع:

ـ إنه لا يطاق...

لقد حاول الوصول إليها لتثق به..

ـ هل جميع الرجال أنانيون ذوو وجهين؟ (سألت ويلو)

نظرت إليها أمها بقلق عابسة، لكنها أردفت:

ـ... مستعدون لاستغلال الناس، وإقناعهم بالاهتمام، بالكذب والخداع، ثم تركهم دون اهتمام؟

ـ ويلو.. ماذا جرى هنا؟

ـ ربما لا تهتمين بعلاقات آدم.. لكن ما مدى الضرر الذي ألحقه بالآخرين؟ ماذا فعل لبيتا وايد؟ أنت لا تعلمين.. أليس كذلك؟ تقولين إنها متسامحة وإن الأمر لا يعني لها شيئاً.. لكن كيف لك أن تعرفي؟ لا تقولي لي إن كل النساء اللواتي تورط معهن بقين سعيدات بعد إنهاء العلاقة. بعضهن تألم دون شك، فلا يعقل أن يكنّ جميعاً غير مباليات كآدم أو باردات القلب مثله.

ـ لا تقولي هذا عنه، إنه..

ـ إنه مغرور، إنه طفل، أناني، جشع.. هذا ما قلته بنفسك. ألم تقولي إنه طفل. لا يمكنه فرض النظام على نفسه، بل هو إلى ذلك خالٍ من المشاعر الحقيقية، لا يعرف معنى الحب وليس عنده الحياة إلا تمثيل. أليس هذا ما قلته؟

ـ أهكذا كنت تتكلمين مع كالمر ديكستر؟ أهذا ما سيضمنه كتابه؟

وقفت بيرتا، فواجهتها ويلو بعدوانية.

ـ أنا على الأقل لم أكذب عليه، بل كان ما قلته حقيقة.. فأنا أعرف ما هي المشاعر الحقيقية ولست بطفلة أنانية أو باردة.. أنا من البشر وفيَّ دم جارٍ في عروقي ولست أبداً مجرد ظل كأبي.

التفتت بيرتا إلى الباب وجسدها متشنج:

ـ أين هو كالمر ديكستر؟

ـ لا أدري ولا أهتم.

كانت تنظر إلى أمها نظرات متحفظة متباعدة، أما أمها فنظرت إليها بحيرة وفزع. قالت ويلو:

ـ فكرتك عن الزواج تقرفني.. كنت أكره أبي لأنني ظننته يتعسك، وأحسست بالأسى عليك.. أليس شعوري ذاك سخيفاً؟ لكنني كنت حمقاء فلم أدرك أن أباً منكما لم يكنّ للآخر مشاعر قوية. لم تشعري بالتعاسة، بل كانت حياتك دافئة فيها كل ما تحتاجين إليه. فرحت تراقبين آدم متنقلاً من علاقة إلى أخرى دون أن تهتز في رأسك شعرة لأنك لا تهتمين به، والله أعلم. أتمنى الآن ألا أكون مثلك منفصلة العواطف. لقد أوشكت أن أكون... أتعلمين هذا؟ اقتربت إلى شفير الانفصال العاطفي، فكنت أخشى أن أتألم لذا رفضت الاهتمام بأحد لئلا يتخلى عني. وهذا هو بالضبط الطريق الذي يؤدي إلى تجميد المشاعر والعاطفة لتكون حياتك نظيفة مرتبة وخالية من الجراثيم كزجاجة حليب معقمة.

ـ ويلو..! لست عادلة!

ضحكت ويلو: «لسنا في محكمة ولست القاضي فما أقول فقط إلا ما أراه».

ـ أعرف أنك مستاءة، إنما يجب ألا تأخذي الأمور بهذا التشدد.. أنت تقلقينني.

ـ أوه.. لا تدعيني أؤثر فيك يا أمي، وإياك أن تتخلي عن عاداتك في الحياة كأن تبدئي الاهتمام بشيء. من يعلم ما قد ينتج عن هذا؟

خرجت من الغرفة تاركة أمها خلفها، متمنية لو تترك القيلا كلها لتنفرد مع ذاتها أياماً تستوعب فيها الأفكار الجديدة التي تلقتها في الساعة الأخيرة. ولكن عليها البقاء لمواجهة كال ولمعرفة ما ينوي بالضبط كتابته عن سيرة والدها لتتحداه في نشر قول من أقواله.

أين هو على أي حال؟

سارت بين الأشجار المهتزة المتحركة ظلالها بالأبيض والأسود، وكأنها تراقب شخصاً في فيلم صامت قديم.. حيث المشاعر أكبر من الحياة نفسها والناس يمارسون الحزن بإيماءات ضخمة لا يمكن للإنسان أن يفشل في فهمها. لا شك في أن الحياة كانت في ذاك الزمان جيدة، لأن العواطف فيها كانت بسيطة، ومصائب الحياة غير معقدة كما هي الآن.

أحست برعب حقيقي وهي تفكر ملياً في الأمر فهي لا تريد أن تجد نفسها على جزيرة قاحلة من العاطفة.. فالحياة توفر أكثر من هذا! ألا مسار آمن بين هذين الطرفين؟ ليس من الضروري اختيار رجل مثل آدم... أو كال.. أجل.. كال لديه مميزات مشتركة مع أبيها. إنه قاسي الفؤاد، منتهز الفرص مغرور ومستعد لاستخدام سلاح العاطفة للحصول على ما يريد من النساء.

فيما كانت تلتفت شاهدت كال يترجل من سيارة جاكوار طويلة من الطراز الأنيق الفاخر. حين شاهدها وقف منتظراً متحفظاً وجهه.

ـ استعدت سيارتي.. كما ترين.

ـ إذن اطوِ بها الطريق، وقبل أن تخرج من هنا، سأقول لك شيئاً: إذا طبعت كلمة واحدة مما قلته لك عن سيرة حياة والدي.. فسأرفع عليك دعوى! سأقاضيك على كل قرش تحصل عليه في حياتك!

اشتد فمه ولم تظهر عليه الدهشة.. أيعلم أن أمها هنا؟

ـ إذن تعلمين بهذا؟ أهو هنا؟

ازداد غضب ويلو لمرأى فمه يتلوى:

ـ لا.. لم يأتِ بل أنت أمي التي لا تريد أن تبقى في القيلا. هيا

الآن اذهب إلى غرفتك واجمع أغراضك وارحل.

رد بسخرية مريرة:

ـ أرسل أمك إذن.. لم يجرؤ على المجيء بنفسه، هذا ما توقعته.

ـ إنه يعمل، ولا يستطيع السفر.

لماذا أدافع عن آدم؟ الرد الوحيد هو أنه أبي مهما فعل. وبيرتا محقة.. إنه رجل عظيم يفتخر المرء به.

ضحك كال فقالت بحدة:

ـ أنا فخورة به.

ـ أنت فخورة بحياته العاطفية التي تشبه حياة القطط؟

نظرت إليه بغضب شرس:

ـ إنه أبي.. وأنا أحبه...

إنها المرة الأولى التي تفكر في هذا. أردفت:

ـ إنه ممثل عظيم ولا يحق لك ازدراؤه.

ـ لكنك تزدرينه! هذا ما اعترفت به. فأنت تعرفين نعم المعرفة نوعيته بين الرجال ولذلك تحتقرينه.

ـ لن تستخدمني لطعن والدي في الظهر! مهما كان ظني به... الطريقة التي استخدمتها معي لالتقاط معلومات عنه كانت أحطّ ما يمكنك استخدامه.

امتقع وجهه أسوداً بحمرة شديدة:

ـ حسناً.. كذبت عليك.. لم يكن يعرف أنني هنا.. لكنه قال إن بإمكاني استخدامها متى شئت.

ـ لم أقصد هذا كما تعرف.

تصادمت نظراتهما، وتوتر وجه كال، ثم قال بصوت أجش:

ـ ويلو.. لم يكن كل شيء كذباً..

مدّ يده إليها فارتدت:

ـ أعرف كل شيء عن بيتا وايد! لذا لا تختلق المزيد من الكذب فستضيع وقتك! لولا كرهي لك لشعرت بالأسى عليه، فلو كانت تهتم بك بمقدار بنس واحد لما نظرت مرتين إلى آدم. وإذا أردت أن تغضب من أحد، فاغضب من نفسك لأنك اهتممت بشخص لم يكن يحبك.

اتخذ صوتها منحىً خشناً، فعضت على شفتها من الداخل لتسيطر على ارتجافها. لن تبكي.. لن ترضي غروره أبداً.

سألها بصراحة وهو ينظر إليها مجفلاً:

ـ من قال لك؟ والدتك؟

ـ لا أراك تنكر أن هذا هو دافعك الحقيقي لمهاجمة أبي.. لقد حاولت إغوائي لأقول لك ما تريد معرفته. ليس من حقك ازدراء آدم.. قد يكون مغروراً، لكنه على الأقل ليس حقوداً!

ـ ولا أنا.!

ـ وماذا تسمي هذا إذن؟ آدم سلبك امرأتك فأردت رد الضربة له، لذا سعيت إلى هذه القيلا متعمداً استغلالي لإيذائه. كنت تعلم أنني هنا.. أليس كذلك؟ هي من أخبرتك على ما أعتقد؟

ـ أجل. بيتا من ذكرته.

صرّت على أسنانها بسبب الطريقة التي لفظ بها اسم المرأة.. إذن هذا هو شعور الغيرة؟ تقلصت معدتها وجفّ حلقها توتراً..

ـ أنت تبسطين الأمور ويلو... أنا لم أنطلق للثأر.. أو للانتقام.. أردت فقط الكتابة عن الرجل الحقيقي بأخطائه وعلاته. لقد حان الوقت لتتجلّى الصورة العامة فيظهر آدم لوبرن الحقيقي.

نظرت إليه بريبة وعدم تصديق:

ـ أتتوقع مني حقاً أن أصدق هراءك هذا؟

ـ اسمعي.. أعترف أنني كنت غاضباً حين تركتني بيتا لأجله..

سخرت بمرارة:

ـ يا لك من رجل شريف صادق!

ـ مع ذلك أنوي أن أقوم بعمل صادق شريف في هذا الكتاب! لن أكتب كلمة واحدة لا أستطيع إثبات صحتها.. وهذا يعني أن لا مجال لتغضبي!

ابتسمت بازدراء ظاهر.

ـ تظهر الأمر بصورة معقولة ليس فيها مجال للخلاف.. أليس كذلك؟ تكره آدم لأنه سرق امرأتك ولكنك تحوّل كرهك إلى أمر آخر. تخدع نفسك حين تقول إنك تريد حقائق وبراهين.. أنت في الواقع تريد قتل آدم بآلة كاتبة. حسناً لن أعينك على هذا الأمر. لن أدّعي أن آدم خالٍ من النقاط السوداء.. لكنه بشر، ولكل بشري أخطاء، قد تزيد أو تقل. إذا أظهرته وحشاً كما أتوقع منك، فستكون كاذباً.

ـ قلت لك.. لن أقول سوى الحقيقة!

ردت ساخرة:

ـ كما تراها!

ـ أجل... ويلو.. اصغي إليّ...

ـ لن أصغي إليك أبداً ولن يكون لك معي فرصة أخرى كال. ابتعد عني واحتفظ بيديك لنفسك...

توقفت عن الكلام فجأة، ونظرت إلى ما وراءه:

ـ من هذا الآن؟ ماذا يجري اليوم؟ لقد أصبح هذا المكان أشبه بمحطة قطارات في ساعة الزحام.

التفت كال لينظر إلى بوابة الحديقة المفتوحة، حيث كانت سيارة أجرة تلج إلى الباحة باتجاههما. مالت المرأة في الخلف إلى

الأمام فأرسلت الشمس في تلك اللحظة رذاذ شعاعها على شعرها.

سمعت ويلو أنفاس كال الحادة العميقة، ونظرت إليها شزراً..

ـ من هي؟

كانت تتوقع الرد الذي قدمه بعد لحظات بصوت هادىء:

ـ إنها بيتا.

* * *

٨ ـ أربح لكي أخسر

سألت ويلو والتوتر ظاهر على كل عضلة في جسدها الذي اجتاحه ألم شديد:

ـ ماذا تفعل هنا؟

هل تشاركه مؤامرة ما؟ ألهذا أعطته مفتاح الڤيلا؟

نظرت إليه بغضب، ثم حوّلت بصرها إلى المرأة المترجلة من التاكسي. أصبح واضحاً لها الآن أن كال اطّلع على معلومات خاصة تتعلق بكرهها لوالدها من بيتا وايد. وبما أن آدم أصبح يعرف ما يجري رأت بيتا أن لا فائدة من إخفاء تآمرها ولهذا جاءت تنضمّ إلى رفيقها المتآمر... لكن.. هل كال مجرد رفيق متآمر؟ هل عاد الحب إلى قلبيهما؟

رد كال بعدائية حادة:

ـ أعتقد أنك تفهمين السبب.

ـ أعتقد ذلك...

التفت كال ينظر إليها بجفاء وعظام وجهه متصلبة غضباً:

ـ تعرفين سبب وجودها هنا.. كما أعرفه تماماً!

ـ أوه.. ليس بقدر ما تعرفه أنت، فأنا أشك فقط في الأسباب. أما أنت فتعرف! لقد جاءت لتتأكد من أنك لن تتورط كثيراً معي.. أليس كذلك؟ إن هذا يطري غروري حقاً. لكنها لم ترني قط وعليه فهي تظنني ورثت جمال آدم، وربما تصورها هذا جعلها تغار.

استمر كال ينظر إليها بوجه متجهم.. فأكملت بحدة:

ـ حسناً.. اذهب وأرح بالها... لكنني لا أريدها في الڤيلا. لا أريدها في أي مكان قربي... خذها إلى ڤيلا ميديتشي. فهناك تقيم حين تكون في إيطاليا. أليس كذلك؟ أووه.. بلى.. لقد عرفت هذا أيضاً. أنت لم تخدعني لحظة، حتى ولو ظننت هذا... كنت أعرف كل شيء عنك منذ اليوم الأول.

سألها باستغراب:

ـ أكنت تعرفين؟

ـ صدّق ذلك. ولكن إياك أن تعود إلى هذا المكان معها أو بدونها، فليأت أنطوان لينقل أغراضك الليلة.. أما وجهك فلا أريد رؤيته ثانية.

التفتت إلى الڤيلا، لكنها سمعت صوت بيتا العميق الأجش قبل أن تصفق الباب:

ـ كال.. حبيبي...

ركضت ويلو إلى الطابق العلوي، تعضُّ على شفتها بقسوة رافضة لدموعها الانهمار، وعندما أصبحت في غرفتها وقفت بضع دقائق، تقاوم تلك الدموع حتى فاز غضبها دافناً الألم عميقاً. غسلت وجهها بماء بارد لاذع فساعدها وأشعرها بأنها قادرة على مواجهة أمها ثانية.

عندما كانت تهبط الدرج فتحت مارشا باب الڤيلا الأمامي وقالت لشخص في الخارج:

ـ مرحباً... بدأت أتساءل عما أخرك!

كانت ويلو على وشك أن تقول لها: «لا تسمحي لكال بالدخول»، ولكنها عادت فمنعت نفسها لأنها أدركت أن من في الباب أنطوان وحده. نظرت إلى الباب فلم تجد أثراً لكال أو لبيتا،

ولا الجاكوار البيضاء. أقنعت نفسها أنها مسرورة، ولكنها كانت على العكس تماماً، تحسُّ بالضيق الذي ظهر على وجهها، فقد نظر أنطوان ومارشا إليها باستغراب.. وقال أنطوان محافظاً على بعده عنها.

ـ مرحباً.. إنه يوم جميل للذهاب إلى غوردون.. الشمس مشرقة، ولا ريح، هل كال هنا؟

ردت ويلو:

ـ لا.

قالت مارشا مترددة:

ـ لكنني ظننت أنني شاهدتكما تتحدثان منذ دقائق.

نظرت إليها ويلو تستشيط غضباً من فكرة مراقبتها لها.. فسارعت مارشا تقول: «ربما كنت مخطئة».

صاحت بها ويلو:

ـ أوه.. لا تكوني سخيفة.. بالطبع شاهدتني، كان هنا، وربما هو الآن يوصل صديقته إلى ڤيلا ميديتشي.

سأل أنطوان والحيرة على وجهه:

ـ صديقته؟

ردت ويلو بازدراء: «بيتا وايد».

ـ بيتا؟

مرّر يده على شعره الأسود ثم سوّى ربطة عنقه الأنيقة، ليعطي نفسه فرصة التغلب على ذهوله ثم أكمل:

ـ أوه.. بيتا.. طبعاً.

يبدو أن مارشا لا تعرف من هي بيتا فراحت تراقبهما دون أن تفهم، فاغرة فاها. ثم سألت:

ـ صديقته؟ وصلت؟.. أوه.. أوه ويلو!

لم تكن ويلو ترغب في شفقة أحد.. فجمّدت نفسها وعيناها بصمت تؤنبان مارشا.. سأل أنطوان:

ـ جاءت تنضم إليه هنا؟

أصدرت مارشا صوتاً غاضباً:

ـ كنت على حق بشأنه منذ اللحظة الأولى ويلو.. كنت مصيبة تماماً.. قلت ما إن رأيته إنه جرذ قذر، لكنني لم أصدقك. يا إلهي لم يذكر حتى اسمها!

سأل أنطوان:

ـ ألا تعرفين قصة بيتا؟

نظرت إليه ويلو مفكرة.. كم يعرف، هنا السؤال، وكم تستطيع بمساعدة مارشا أن تعرف منه؟

ارتدَّ أنطوان إلى الباب باضطراب قائلاً بوجوب التحرك للذهاب إلى غوردون:

ـ سنتأخر على الغداء.. هل أنت قادمة مارشا؟

نظرت مارشا إلى ويلو والتساؤل في عينيها.

سألت ويلو:

ـ أنت تعرف السبب الحقيقي وراء وجوده هنا؟ أليس كذلك أنطوان؟ قال لك إنه يريد خداعي لأتحدث عن أبي.. ولهذا كنت تبعد مارشا، وتتركني وحدي معه.

فتحت مارشا فمها بذهول أما أنطوان فنظر إليها قلقاً يهزُّ رأسه:

ـ ليس الأمر كما تقول.

هجرته إنكليزيته فجأة وانطلق يتمتم بالفرنسية لحظات. فتراجع، يضع يديه أمام وجهه.

ـ أوه.. لا مارشا.. أرجوك! أنت لا تصدقين...

مدَّ يديه فجأة وأمسك كتفيها، مثبتاً ذراعيها إلى جانبيها فأخذت

ترفسه على قدمه وعندها اضطر إلى الوقوف على قدم واحدة بسبب الألم:

ـ حبيبتي.. لا.. لا.. حسناً.. سأقول لك.. صدقاً حبيبتي هذا ما حصل... اتصل بي كال قائلاً معي فتاتان جميلتان على الغداء في ڤيلا ميديتشي، واحدة لك وواحدة لي.. قال إنه سيختار السمراء الصغيرة لنفسه أما أنا فلي الأخرى.. حسناً.. قبلت مع أنني لم أكن أعرفك مارشا، ولكن حين شاهدتك سررت بهذا الاتفاق.

رفست مارشا مرة أخرى تقول من بين أسنانها:

ـ وهذه لتعلمك ألا تكذب عليّ.. لقد وعدتني بعدم الكذب.

سألتها ويلو ساخرة:

ـ وصدقته؟

ـ لأنني حمقاء!

قال أنطوان بلهفة:

ـ أوه.. لا... أنا مجنون بحبك.

سألته بريبة:

ـ هل أنت متزوج؟

ـ لا.. أقسم.. على قبر أمي.

ـ وهل أمك ميتة؟

بدا الارتباك على أنطوان:

ـ لا.. إنها تعيش في باريس. آه تعرفين أن هذا مجرد قسم، لكنني غير متزوج مارشا بشرفي.

ـ هاه...!

ـ لا تهزئي بشرفي مارشا، فحين أقسم فصدقي أنني أقول الصدق عينه.

ـ جرذ قذر!

ـ لم أستطع قول الحقيقة لأن كال طلب مني الصمت وكال صديقي.

ما زال الوقار ظاهراً على كل حركة في جسده فسألته ويلو:

ـ أكانت بيتا تقيم في ڤيلا ميديتشي؟

ـ لا.. لم أرها على أي حال.

أمسك مارشا بذراعه فيما راحت يده الأخرى تمسح شعرها الطويل الأشقر، ليهدىء من روعها.. وأكمل:

ـ لم يقل لي كال إنها قادمة.

ـ هل تشاركه في مؤامرته؟

بدا أنطوان مذهولاً:

ـ أية مؤامرة؟ لا أدري عما تتكلمين. لا وجود لمؤامرة. كان كال يحب بيتا منذ زمن بعيد، ربما في وقت ما في السنة الماضية.

قالت مارشا بمرارة تنتزع نفسها من ذراعيه:

ـ أوه.. بل منذ قرون... يا إلهي، إنَّ فكرتك عن الزمن مشوشة.

قال متوسلاً:

ـ إنكليزيتي غير متقنة كما تعرفين مارشا.

قالت مارشا له: «لا أريد رؤيتك ثانية».

ـ لا.. اسمعي.. هذا الأمر.. علاقة كال وبيتا انتهت منذ زمن، أو هذا ما قاله هو كان واضحاً لي حين شاهدته أنه يحب ويلو كثيراً. كانا يضحكان دائماً ويمرحان معاً.. ولا أفهم لماذا أتت بيتا. لكن لا تقلقي ويلو.. إنه يميل إليك حقاً.

فتحت مارشا الباب:

ـ والآن.. اذهب من هنا..

راح أنطوان يتوسلها، محاولاً استعادتها إلى ذراعيه:

ـ حبيبتي . . .

قالت ويلو: «سأبحث عن أمي»

تركتهما ثم دخلت إلى المطبخ، حيث وجدتها تتحقق من محتويات خزانة المؤونة . . . قالت بيرتا:

ـ أريد تناول (البايلا) هناك علبة قطر، وبعض الأنشوا، ودجاجة في البراد، ونقانق بالثوم . . إنها مزيج رائع للبايلا.

ـ هل شاهدت بيتا وايد تدخل أرض القيلا؟

هزت بيرتا رأسها بلا اكتراث فأحست ويلو بالأشياء التي قالتها لها في ساعة غضب . . لكنها لم تعتذر، فهي تعرف أن علاقتها بأمها عميقة ومجرد فتح الحديث معها يعني اعتذار كاف . . . هذه هي بيرتا وهكذا تحبها . . قالت ويلو:

ـ إن بيتا وايد دون شك مشاركة في مؤامرة كال.

ـ وقد يكون آدم اتصل بها فأتت كما أتيت أنا للسبب ذاته، وهذا هو الأرجح فبيتا ليست ممن يحقد.

ـ لقد أخبرته أنني هنا، وأعطته المفتاح!

ـ ربما لم نكن نعرف ما ينوي فعله . . كم سيكون عددنا للغداء هنا؟

ـ لا أدري . . انتظري لحظة.

فتحت الباب لترى كيف تجري الأمور بين مارشا وأنطوان، فوجدتهما متعانقين بشغف. عندها أغلقت الباب ثانية والتفتت إلى أمها:

ـ اسمعي . . لماذا لا نخرج للغداء؟ لا أريد أن تطبخي وأنت هنا. سنذهب إلى مطعم في فلورنسا.

ـ أليست فلورنسا مكتظة بالسكان كلندن؟ وهل تعرفين مطعماً جيداً فيها؟

ـ أعرف عدة أماكن عائلية، لا زخرفة فيها بل طعام رائع.

ضحكت بيرتا . .

دخلت مارشا إلى المطبخ متضرجة الوجه لامعة العينين، تضحك بخجل:

ـ نحن ذاهبان إلى غوردون . . أترافقاننا أنت والسيدة لوبرن؟ سنحب رفقتكما.

ـ لا مارشا . . شكراً لك . . قررنا أن نأكل في أحد مطاعم المدينة لتتمكن أمي من شراء بعض الأشياء.

قالت بيرتا: «تمتعا بوقتكما».

عندما نظرت مارشا إلى كومة المعلبات على طاولة المطبخ، أخبرتها بيرتا عن رغبتها في صنع البايلا.

ـ سأعدها للعشاء الليلة . . لماذا لا تطلبين من أنطوان الانضمام إلينا؟

ـ حسناً . . شكراً لك. أراكما لاحقاً. سنعود في السابعة، هل يناسبك هذا؟

ردت ويلو مبتسمة:

ـ لك ملء الحرية. ستتناول العشاء في الثامنة. تأكدي أن يقود أنطوان بحذر . . قولي له إنني سأكون شاكرة له إن وضّب أغراض كال ونقلها له إلى ڤيلا ميديتشي. لا أريد أن يكون له عذراً للعودة.

ـ هذا ما سأقوله له.

حين خرجت . . سألت بيرتا بحدة:

ـ هل غادر كال؟ ظننته في الخارج مع بيتا . . وكنت أتوقع أن تدخل معه القيلا.

ـ طلبت منه أن يرحل ويصحبها معه. الساعة توشك أن تبلغ الواحدة لذا يستحسن أن نتحرك لنتغدى قبل أن نتأخر.

ـ لماذا لا نتناول السلطة هنا؟ أفضل البقاء حقاً.. إن إعداد وجبة في البيت أخف وطأة من الخروج. كنت في سفر ساعات وأراني متعبة.

ـ آسفة.. كان يجب أن أفكر في هذا. طبعاً سنبقى، وآسفة لأنني لم أفكر فيك.

نظرت إليها بيرتا نظرة تأنيب:

ـ لا تكوني سخيفة.. أنت تأخذين كل شيء على محمل الجد ويلو.. كنت حتى في طفولتك جادة. دايف مختلف عنك يأخذ الحياة بسهولة أكبر.

نظفت الطاولة ثم أخرجت علب سردين فتحتها بينما كانت ويلو تضع السلطة وأكملت:

ـ كنت دائماً المفضلة عند أبيك. أراد أن يسميك أوفيليا لكنني رفضت بشدة.

ـ أشكر الله على هذا.

ضحكت بيرتا:

ـ تركته يسمي دايف كما شاء.

ـ مع أنني لم أحب اسم ويلو كثيراً.

ـ لكنه اسم واقعي..

ـ هل أضع الليمون والخل مع المايونيز؟

ـ أوه.. سيكون هذا رائعاً..

سكبت الخليط فوق السلطة وتذوقته قليلاً.

ـ أوه.. إنه لذيذ.. هل نتناول الطعام في الردهة؟ سآخذ السردين والجبن وأحضّر الطاولة.

كادتا تنهيان الغداء حين سمعتا صرير إطارات على طريق الفيلا الداخلية. ثم صوت صفق باب.. فوقفت ويلو بسرعة ولكن تأخرت

قليلاً، فقد فتح كال الباب في اللحظة التي خطت لتمنعه من الدخول.

صاحت بشراسة:

ـ اخرج من هنا..

وقفزت تسدّ طريقه، فرد بنفاذ صبر:

ـ لا تكوني حمقاء ويلو.. يجب أن أكلمك.

ـ ليس بيننا حديث.

قالت بيرتا بلطف:

ـ ويلو...! أريد أن أتحدث إليه...

ابتعدت عن الباب دون أن تتفوه بكلمة أخرى فتجاوزها كال، ولكن ويلو سألته:

ـ ماذا فعلت بها؟ اصطحبتها إلى فيلا ميديتشي لتنتظرك هناك؟

ـ تقيم بيتا مع أصدقائها وقد أوصلتها إلى منزلهم.. مرحباً سيدة لوبرن، كيف حالك؟

جعلتها كياسته وتظاهره بالأدب ترغب في الصراخ... ولكنها رضيت بأن تصفق الباب فقط.

قالت بيرتا له:

ـ تبدو بخير.. كال، ما هذه السمرة الرائعة؟

لماذا تبتسم له أمها؟ وكأنها مسرورة بلقاء صديق قديم!

ـ أنا بخير...

قهقهت ويلو بسخرية فنظر إليها شزراً.. ولكنها استقبلت نظراته بعبوس مطبق وقالت لأمها:

ـ أوه.. لا تقلقي.. إنه على أفضل ما يرام أمي.. لقد نجح في تمهيد طريقه إلى هنا مستخدماً الخداع لأتكلم عن أبي وما كانت غايته إلا كتابة كتاب يسلخ فيه جلد آدم... أجل.. إنه على ما

يرام.. شكراً لك.

ردت بيرتا موبخة:

ـ ويلو.. لماذا لا تعدين القهوة بينما أقوم أنا بمحادثته؟

ـ أريد سماع ما سيقوله لك، فأنا أتوق إلى معرفة المدى الذي قد يذهب إليه ليقنعك بألا تقلقي بشأن آدم. لا تصدقي أية كلمة يقولها. إنه كاذب أملس.

ـ أنا قادرة على الحكم عليه بنفسي.

ثم التفتت إلى كال بخشونة، تتمّ حديثها:

ـ إن من عادة ويلو الإصرار على الحقيقة المطلقة.. لذلك يجب أن أعترف بأنني هنا لأعرف ما تفعله في الفيلا؟ لقد ذعر آدم حين سمع بوجودك..

قالت ويلو:

ـ لماذا تلفين وتدورين حول الموضوع.. آدم لم يعطه المفتاح بل لم يكن يعرف أنه هنا... ولكن... ادّعى أنه دفع الإيجار لآدم مدة أسبوعين وهو في الواقع لم يفعل ذلك! وهذا نوع من الاحتيال، ولو اتصلنا بالشرطة لاعتقلته.. لماذا لا نتصل الآن بالشرطة؟ لقد عدت ومارشا فوجدته هنا، وما ذلك إلا اقتحام وتطفل.

سألها بحدة:

ـ أليس هناك اتهام آخر تنالين به مني؟ الاحتيال والاقتحام، والتطفل.. لا شك أنك قادرة على اختراع اتهامات أخرى؟

صاحت به:

ـ الاعتداء الجنسي..؟ محاولة خداع فتاة واغتصابها؟

رد ساخراً «محاولة»

التهب وجهها.. فأضاف:

ـ أنت ترعبين والدتك التي ستظن أسوأ الظنون.

ابتسم لبيرتا، وكادت ويلو تلطمه حين ردت أمها البسمة.

ـ لا تأبهي لها سيدة لوبرن.. إنها تبالغ.. للأسف لم ترث موهبة أبيها في التمثيل وكما تعرفين إنّ ذوقها مأساوي.

ضحك.. فابتسمت بيرتا مجدداً، أما ويلو فحدقت إليها بذهول.

ـ كنت سيداً مهذباً فعلاً، فقد حدث ليلة أن كانت متعبة غافية.. فوضعتها في الفراش وابتعدت.. ربما تمنت لو بقيت.. لكن...

صاحت ويلو بغضب شديد تفتش عمّا تضربه به:

ـ أووه...

وقعت يدها على تمثال قطة خزفي، فقذفته به، ولكنه انحنى بسرعة، فتحطم التمثال الكبير مصدراً صوتاً كبيراً.

ـ أتسمي نفسك سيداً مهذباً؟

ـ لم تظهري لي رغبة في الانصراف. من الأفضل أن تحضري مكنسة لتنظفي هذه الفوضى قبل أن يجرح أحدهم نفسه بها.

قالت بيرتا مؤنبة:

ـ أرجو ألا يكون هذا مما يحبه دايف، فليس المنزل منزلك ويلو... وما فعلته كان شريراً مزعجاً.

ضحك كال، لكنها تجاهلته لترد على أمها:

ـ هذه قطتي أنا، ويؤسفني أنني فقدت أعصابي أمي..

قال كال برضى: «هذا ما ظننته».

ـ لم أكلمك!

ـ لكنك رميت التمثال عليّ!

ـ وليته أصابك!

ـ يا أولاد.. يا أولاد... لو كنتما صغيرين لضربتكما...

ويلو.. اذهبي إلى المطبخ وأعدي القهوة. أما أنت يا كال فرافقني

إلى غرفة الجلوس.

ابتسم لويلو متعمداً إثارتها، مسروراً برؤية بيرتا تعطيها الأوامر.

ـ ويلو.. اكنسي التمثال المكسور.. أرجوك. (قالت بيرتا)

اتسعت بسمة كال، فمدت لسانها له فقال لها بصوت مرتفع:

ـ من سوء الأدب أن تمدي لسانك.. أليس كذلك سيدة لوبرن؟

هزأت ويلو منه «ثا.. ثا.. ثا..» ودخلت المطبخ صافقة الباب وراءها متسائلة عما يتحدثان عنه بالضبط.. هل ستتمكن من إقناعه بألا يمضي قدماً في نشر قصة آدم؟ لماذا عاد؟ ولماذا أتت بيتا إلى الڤيلا؟ هل هي متورطة بالمؤامرة أم لا؟ هل الفكرة كلها فكرة كال؟ كان في رأسها مئة سؤال وسؤال تحتاج إلى الرد.

حين حملت صينية القهوة إلى غرفة الجلوس، كان كال واقفاً قرب المدفأة الجحرية. مرفقه على الرف الحجري العريض يكلم أمها الجالسة على الأريكة البيضاء.

وضعت ويلو الصينية على الطاولة الصغيرة، وركعت قربها لتصبّ القهوة لأمها.. ولكنها لم تتمكن من سماع ولو شيء من حديثهما.. فقد توقفا حالما فتحت الباب...

سألت كال: «بدون سكر؟»

هز رأسه وما هي إلا دقيقة حتى قدمت له فنجان قبل أن تجلس على الأرض قرب الأريكة، تنظر متسائلة إلى أمها، التي قالت:

ـ عرض عليّ كال أن يسمح لآدم بقراءة مسوّدة الكتاب قبل إرسالها إلى الناشر.

وابتسمت لكال من فوق رأس ابنتها فنظرت إليه ويلو بدهشة، ثم عبست:

ـ وماذا لو عدّل المسوّدة بعد أن يقرأها آدم؟ أليس من المستحسن أن يرى آدم القصة بعد التنقيح وقبل أن يرسلها إلى

المطبعة، على أن يسحبها إذا وجد ما لم يعجبه؟

قالت بيرتا:

ـ لا تصعبي الأمور ويلو..

قال كال: «إنكِ كمن يُطلب من القط ألا يصطاد الفئران، اسمعي أيتها الأنثى العنيدة. أنا أكتب سيرة حياة نقدية لا مقالة تزييف ورياء. وأنا واثق أن الناشرين لن يسمحوا لي بأن أقودهم إلى دعوى تشهير. لن أنشر شيئاً لا أستطيع برهنته، وأعدك ألا أحاول النيل من آدم إنما يجب أن أكون حرّاً في إظهار الرجل الحقيقي القابع وراء الصورة العامة المعروفة... وإلا فلن أرغب في الكتابة أبداً».

ـ ربما هذا أفضل.

نظر إليها ساخراً:

ـ أنا أكتب بناء على طلب والدك. أتذكرين هذا؟ لم تكن فكرتي أساساً بل فكرته.

ـ لكنه لم يتصور أنك ستكتب كتاب فضائح عنه!

ـ لكنه ظنني سأظهره بمظهر القديس! حسناً.. لقد أخطأ حينما حسبني أشبه كثيراً من الكتّاب المتملقين.

ـ استخدم كلمة واحدة ذكرتها أمامك ولك عليّ أن أركلك ركلة توصلك إلى الجيم.

نظر إلى بيرتا:

ـ أرأيتِ ما أواجهه؟

قالت بيرتا بهدوء وهي تبتسم:

ـ بين ويلو وأبيها علاقة حب وكره. وذلك منذ أن بلغت سن المراهقة ففهمت ما يجري بين آدم وبعض النساء ومع أنها تثير غضبه إلا أنه يحبها كثيراً.

تضرّج وجه ويلو التي تمتمت:

ـ هذه أخبار جديدة عليّ! ما تسمعه الآن ليس للنشر.. أسمعت؟ لا تجرؤ على نشر شيء منه!

ابتسم كال لبيرتا:

ـ أتعلمين ما قالته أمامي هذا الصباح؟ قالت إنها فخورة بوالدها وإنه أعظم رجل، وهي تحبه. ولا أستطيع القول انني ذُهلت.. لأنني بدأت أشك في هذا، فعلى الرغم من عدائها الظاهر له تكِنُّ له عاطفة عميقة، وقد نطقت بما يعبّر عن مكنونات قلبها دون أن تدرك أنها مشاعرها الحقيقية.

ـ لا تحاول تحليل نفسيتي.. لو أردت أن أكتشف ما يسيّرني لدفعت لأخصائي، فلا أريد لهاوٍ محتال أن يجول في عقلي.

رد ساخراً:

ـ أي عقل هذا؟ إن ما عندك مشوش بصورة دائمة، ولكنني أعرف ما يسيّرك أكثر مما تعرفين أنت نفسك. وأنا على استعداد لإظهار ذلك ولكنني لا أظنك تحبين أن ترى أمك ما قد أفعله.

هبّت ويلو على قدميها ترتجف غضباً وارتباكاً:

ـ اذهب واجمع حقائبك لتنضم إلى بيتا وايد في فيلا ميديتشي... إنما لن تحصل على شيء مني بعد الآن.

تقدم إلى الباب:

ـ امرأة مشاكسة! كنت راحلاً في مطلق الأحوال، فمنزلك ملأه وجود أمك.

عادت ويلو للجلوس على الأريكة قبل أن تنهار ساقيها تحتها. فنظرت إليها بيرتا:

ـ ما هذه العلاقة المتفجرة بينكما؟ متى تعرفت إليه؟

ـ ماذا؟ منذ بضعة أيام.. هذا كل شيء.. منذ بضعة أيام.

بدا لها أن مئة سنة مضت منذ أن شاهدت أثر جسده على

فراشها.

قالت بيرتا دون أن يكون لما قالته معنى أو صلة بالحديث: «أنا آسفة لأنني أعجبت به».

حدقت ويلو إليها مذهولة:

ـ لماذا؟

ـ لم يعجبني أحد من الرجال الذين اختلطتِ بهم سابقاً.

ـ لم أختلط مع كالمر ديكستر!

ـ وأنا أحب جنيفر كذلك. حين كنت ودايفد طفلين صغيرين أحسست بالقلق خوفاً من أن تختارا في شبابكما من لا يعجبني. تفكيري سخيف، أليس كذلك؟. لكن العائلة مهمة جداً.. وأكره الانفصال لأي منكما، لذا تمنيت أن تختارا من أشعر معه بالراحة والحب.

اشتد احمرار ويلو، وقالت غاضبة:

ـ لكنني لا أخطط لزواج من كالمر ديكستر أمي!

ـ طبعاً.. طبعاً عزيزتي، كنت فقط أفكر في صوت مرتفع.

ـ حسناً.. لا تفكري بهذه الطريقة! فما من مجال أبداً.

ـ لماذا؟

ـ أرجوك أمي انزعي من رأسك هذه الأفكار، وإن أردت الاختيار فلن يكون كالمر ديكستر.

ـ ما الذي لن يكون؟

كان السؤال لكال، فانتفضت ويلو التي حوّلت وجهها إلى الجهة الأخرى محاولة السيطرة على موجة الغضب المتسارعة:

ـ هل وضّبت حقيبتك؟

ـ أتودين تفتيشها لتتأكدي أنني لم أسرق شيئاً من النفائس؟

كادت تقول له إنه سرق فعلاً... فهي تعرف أنه فعل.. ولكن

ليس لقلبها قيمة نفيسة حقيقية... ولو كان له قيمة، لما وهبته بهذه السهولة لرجل مثله، لن يعتني به! آه. ليتها تقوم بما يمحو هذه الابتسامة الساخرة عن وجهه، لكن تفكيرها لم يكن متعاوناً معها اليوم، فثمة شيء واحد تود قوله وهو:

ـ وداعاً!

بدا لها قولها عذباً صداه ولكن ما أدهشها أن وقعه كان عنيفاً على نفسها، فقد برقت عيناه كبرق الصيف.. وتبادلا النظرات فترة قصيرة في معركة إرادات متشددة. معركة صامتة مريرة لا تلين.. ارتجفت من رأسها إلى أخمص قدميها قبل أن يرتد على عقبيه خارجاً ولكنها أحست إحساس من ينتصر بحرب أهلية، فبقدر ما كسب خسر.

* * *

٩ ـ الخصم والحكم

أقلّت ويلو والدتها إلى المطار بعد يومين في قيظ خانق، كانت فيه السماء غطاءً زجاجياً أزرق والشمس خانقة حارقة تكاد تلهب العينين لو تجرأنا على النظر إليها. في هذا الجو وضعت ويلو نظارة شمسية، شاحبة بان فوقها العرق.

سألت وهي تنعطف بالسيارة باتجاه منطقة الخروج.

ـ ألديك التذكرة وجواز السفر؟

كان المطار مكتظاً: السيارات في ذهاب وإياب، والناس حول المدخل يتصادمون. كان رجال الأمن يختلطون بالناس يصيحون بالسائقين ليتحركوا محاولين إبقاء سير البشر في حركة دؤوب. ابتسمت بيرتا:

ـ لا تقلقي كثيراً.

ـ سأجد مكاناً أركن فيه السيارة وعندها آتي لأودعك.

أوقفت السيارة في المنعطف لتترجّل بيرتا، أما ويلو فدارت حول السيارة تريد فتح الصندوق لتناول أمها الحقيبة ولكن بيرتا قالت:

ـ لا.. لا تفعلي. أستطيع تدبير نفسي فموقف السيارات مكتظ. سرّني رؤيتك. سأبلغ حبك لدايف وجنيفر والأولاد... ولوالدك.

ضحكت ويلو:

ـ أنت تعتقدين أنني طفلة مجنونة مشوشة الفكر، أليس كذلك؟

ـ أعتقد أنك بدأت تكبرين.

وتوجّهت إلى مدخل المطار وهناك راحت تلوح لابنتها قبل أن تختفي عن الأنظار فردت ويلو عليها محاولة أن تبتسم..

أمها على حق.. ففي الأسبوع الماضي تغيّرت نظرتها إلى الأمور. منذ أسبوع كانت ستضحك لمجرد الإشارة بأنها غير ناضجة بالكامل ولكنها بدأت تفهم الآن أنها كانت أسيرة تصرفات مغلولة محفورة عميقاً في نفسها منذ سنوات وقد ظلّ الغضب المتمرد يزهر في نفسها.

لوّح لها شرطي بعنف فأسرعت إلى ركوب السيارة التي اتجهت بها خارج ازدحام سير المطار وأشجار النخيل المروحية.

عندما وصلت إلى الڤيلا سمعت ضحكات مارشا وأنطوان قرب المسبح، فقررت الانضمام إليهما.. فالطقس أشد حرارة من أن تستطيع فعل شيء آخر. صعدت إلى غرفتها لترتدي ثوب سباحة أبيض، وبدت بشرتها بعد أسبوع في إيطاليا أشدّ اسمراراً.

حين وصلت ويلو إلى البركة كانت مارشا تذرع الماء.

ـ لقد عدتِ! لم أسمع السيارة.. هل نقلتِ والدتك إلى طيارتها بسلام؟

ـ نعم.

وضعت منشفتها ونظارتها على أحد الكراسي الطويلة، وزجاجة زيت الشمس وكتاباً على الطاولة ثم ركضت إلى البركة وقفزت إلى مياهها الزرقاء التي أرسلت تموّجات إلى مارشا وهذا ما جعل الأخيرة تبتعد وهي تسعل.

ـ هاي.. انتبهي!

ـ آسفة.

ضحكت ويلو وهي ترجع شعرها المبلل عن وجهها، ونظرة

ارتياح تغمرها بسبب برودة الماء على بشرتها الحارة. لقد نضح عرقها كثيراً أثناء عودتها من المطار فالتصقت بها ثيابها التي انتزعتها انتزاعاً وهي تخلعها... قالت بارتياح:

ـ هكذا أفضل... يا إلهي ما أشد حرارة الطقس اليوم. إنه أشد حرارة من سائر أيام السنة.

ـ كانت الحرارة مئة وخمسة في الظل ظهراً.. نحن في البركة منذ ساعات فالحرارة تمنعنا من القيام بأي عمل آخر. هل تغديتما؟

ـ لم أستطع أن آكل بسبب الحرارة قوية.

ـ ونحن أيضاً لم نستطع. فكّر أنطوان أن نتناول العشاء في ڤيلا ميديتشي.

ذعرت ويلو، فكلام مارشا العرضي لم يخدعها:

ـ أنا.. لا... سأنام باكراً. عليّ أن أعوّض النوم الذي فاتني.

لن يقنعها أحد بالذهاب إلى ڤيلا ميديتشي بل لن تستطيع جياداً برية جرّها إلى هناك. فآخر ما تريده هو رؤية كال، خاصة وهي تشك في أن ترى معه بيتا وايد.

تبادلت مارشا وأنطوان نظرات لاحظتها ويلو جيداً.. فسبحت مبتعدة عنهما والماء كالحرير الدافىء ينزلق بنعومة على جسدها. إنها حتى وإن كانت لا ترغب في رؤية كال لا تريد أن تجعل الثنائي المالياً. يبدوان على وئام واتفاق ولا تذكر أنها أسعد مما هي عليه الآن لذلك لا تريد تشويش أمسيتهما.

لم تخفّ الحرارة ولو قليلاً حتى بلغت الساعة السادسة.. فعادت ويلو إلى الڤيلا مرتدية شورتاً وقميصاً قطنياً.. لحقتها مارشا إلى غرفتها عندما كانت تسرّح شعرها الرطب ثم جلست على السرير، فنظرت إليها ويلو عبر المرآة:

ـ ويلو.. نحب أن تنضمي إلينا.. لا نريد أن تشعري بأنك

متطفلة.

ابتسمت ويلو تهز كتفيها:

ـ أحتاج فعلاً إلى النوم باكراً. أشكركما على أية حال.

ـ لن يكون كال هناك.

كادت يدها ترتجف فمنعتها: «لن يكون؟ ومن أين لك هذا اليقين؟»

ـ سيذهب لحضور حفلة.

ـ مع بيتا وايد؟

أحست بالفخر لأن اضطرابها لم يظهر على وجهها. كانت تراقب نفسها أكثر مما تنظر إلى مارشا، لتحافظ على أساريرها هادئة... قالت مارشا:

ـ لا.. مع أصدقاء.

دفعها اهتمام مارشا إلى الابتسام تقديراً لجهودها. ويبدو أن مارشا التي عانت من الرجال تشعر بأن ويلو قد تكون تعسة بسبب المشاعر المريرة التي تعتمل في نفسها ولكن مارشا اعتادت على خيبات الأمل أما ويلو فلا.

كم من الوقت تحتاج للتغلّب على ما بها؟ أرادت ويلو أن تسأل مارشا هذاالسؤال ولكنها لم تستطع لأنها كانت دائماً متكتمة بشأن مشاعرها وهي الآن لن تستطيع مخالفة هذه العادة.. قد يجادل المرء إلى ما لا نهاية لمعرفة ما هو الأقوى: الوراثة أم البيئة. ولكن يمكن النقاش إذا تكاتف الاثنان معاً. إنها ابنة أمها، وتجد صعوبة في الاعتراف بمشاعرها أمام أحد. قطعت مارشا الصمت:

ـ غضبت جداً من أنطوان لأنه لم يخبرني عنها.. سألته إذا كان لكال صديقة أخرى وأقسم نافياً.. كان يجب أن أعرف كيف يتكاتف الرجال.. إن التزاماتهم بالصداقة القديمة تقرفني.

ـ ربما لم يكن يعرف بالأمر. كال وبيتا انفصلا من قبل، وعادت المياه إلى مجاريها مجدداً على ما يبدو.

ـ أكره أن أراك محبطة هكذا، وأنت من كنت دوماً راجحة العقل.. أوه.. الرجال هم الهلاك الحي!

ضحكت ويلو: «سأشعر بأنني أفضل حالاً في الغد. أنا تعبة وهذه الحرارة قاتلة».

ـ حسناً.. نامي باكراً. وسنتحدث في الغد.. أراك لاحقاً.

تناولت ويلو بعد رحيل مارشا وأنطوان وجبة خفيفة مؤلفة من الفاكهة والسلطة والعصير، وما إن انتهت من وجبتها حتى شعرت بالنعاس، فجفناها ثقلا وراحت تتثاءب. من العبث البقاء هنا تعسى وهي تستطيع طلب الراحة التامة أكثر في الفراش. وكان أن أوت إلى فراشها تغط بنوم عميق حيث استراح جسدها فوق الشراشف.

حين استيقظت كان ما حولها ظلاماً.. لكن استيقاظها لم يكن طبيعياً.. ثمة ما أيقظها. أهو صوت؟ استندت إلى مرفقها تحدق إلى الساعة الصغيرة فإذا هي لم تتجاوز منتصف الليل. إنها نائمة منذ أربع ساعات.. هل عادت مارشا؟ أهذا ما أيقظها؟

جلست تصغي للحظات، كانت على وشك الاستلقاء ثانية حين جعلها صوت واضح تنتفض مذعورة. إنه صوت طرطشة ماء، ثمة من قفز إلى المسبح.

نهضت عن السرير، تفتش في الظلمة عن روبها القطني. ماذا تفعل مارشا بحق الله..؟ نعم الطقس ما زال حاراً والهواء ما زال خانقاً لكن كيف لها أن تسبح مصدرة ضجة مرتفعة. ألا تدرك أنها قد توقظها من نومها؟ هل عادت برفقة أنطوان؟ ماذا أصابهما بحق الله؟

ركضت غاضبة تنزل الدرج وصولاً إلى الحديقة التي بدا فيها القمر بدراً يحوّل بنوره الأشجار والشجيرات الصغيرة إلى أشجار

فضية ويجعل من الورود المرتفعة مجرد أشباح. لم تكن بحاجة إلى مشعل لتتبين طريقها إلى المسبح، فالحديقة أشبه بمسرح تضيئه ظلال قاتمة لتعطي التأثير المطلوب.

وعلى هذا النور الضئيل المؤثر، شاهدت رأساً أسوداً يجتاز المياه. كاد قلبها يتوقف وانقطعت أنفاسها قبل أن ينفجر الغضب الفج في داخلها، فركضت وفيها رغبة إلى العنف.

صاحت به ما إن بلغت حافّة المسبح:

ـ ماذا تفعل بحق الله..؟

التفت كال بكسل نحوها، ولكنه لم يبطىء من سرعته ليردّ عليها. كان البدر يلمع على كتفيه البنيتين.. وقطرات الماء تتدحرج من ذراعيه إلى البركة.

ـ هل أنت أصمّ؟ كيف تجرؤ على التسلل إلى الحديقة، مستخدماً مسبحي بدون استئذاني؟ هذه أملاك خاصة.. ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

رد متشدقاً: «أسبح».

وظلّ يسبح متجاوزاً إياها فجعلتها سخريته تغتاظ.

ـ اخرج من هنا قبل أن أستدعي الشرطة.

وصل إلى حافّة المسبح الأخرى ثم ارتدّ بعذوبة ورشاقة فلمحت عضلاته المفتولة. قال وهو يسبح نحوها:

ـ إنها ليلة حارة بل هي الأشد حرارة حتى الآن في هذه السنة.

ـ لا أريد بحث موضوع الطقس معك بل أريد أن ترحل فقط...!

كيف لها أن تجبر رجلاً على الخروج من المسبح؟ ماذا يستخدم البستاني ليجمع أوراق الشجر العائمة والأوساخ الأخرى عن سطح الماء؟ مجرفة.. أهذه هي؟ نظرت إلى كوخ الحديقة لكنها خافت أن

تهدده بالمجرفة.. فقد ينقلب الأمر إلى معركة مميتة!

استدار عائداً:

ـ المسبح مكان مناسب كأي مكان آخر لقضاء ليلة حارة، إلا إذا كان لديك اقتراح بديل؟

ـ اخرج من المسبح!

وضربت الأرض بقدمها.. ولكنها ارتكبت بهذا غلطة كبيرة سرعان ما أدركتها. فقد كانت الأرض رطبة زلقة، وقبل أن تستطيع التماسك انزلقت قدمها تحتها فحاولت استعادة توازنها برفع ذراعيها، لكنها وقعت إلى الأمام فحطت في المسبح.

قاومت لتعود إلى السطح ولكنها وجدت نفسها تواجه كال الذي ابتسم لها راضياً:

ـ كنت آمل أن تنضمّي إليّ.

ـ أنت.. أنت..

رد ساخراً:

«أتركك عاجزة عن الكلام. أليس كذلك؟»

تقدم إليها ثم أحست بيده على خصرها.

صاحت تضرب يديه لتبعدهما: «لا تلمسني».

ـ أريد مساعدتك على خلع الروب فلا يمكنكِ السباحة به.

لكنها لا تنوي السباحة، بل ستخرج من المسبح حالاً. توجّهت إلى حافة المسبح وأمسكت السياج الحديدي بكلتا يديها لتشدّ نفسها إلى خارج الماء ولكن ذراعه التفت حول قدّها كالأفعى تجذبها إلى الوراء، فرفست الماء متخبطة.

ـ اتركني..

وجدت نفسها تطفو على ظهرها ورأس كال بينها وبين القمر. الوجه مظلم مظلل ولكن بريق العينين أرعبها. ابتسم لها، وهي طافية

دون حراك، مستلقٍ جسدُها فوق المياه الدافئة، مستريحة يديها على كتفيه، مغروزة أصابعها في بشرته العارية. قالت هامسة، متمنية لو يتوقف قلبها عن الضجيج:

ـ ألم أقل لك إنني لا أريد رؤيتك ثانية.

فكَّ رباط روبها، فتسلل القماش مبتعداً ليتركها لا ترتدي سوى غلالة نوم. لمعت عيناه وهو يقترب منها، فصاحت:

ـ لا تفعل!

كانت تعني لا تنظر إليّ بهذه الطريقة.. لكنها كانت مقطوعة الأنفاس غير قادرة على إتمام جملتها. إنه ينظر إليها بحب ورغبة.. إذا كان يمثل هذه الرغبة التي تطلُّ من عينيه، فهو لا شك أمهر من أبيها في التمثيل وأشد موهبة. جفَّ حلقها وآلمها صدرها لأن الدم تدفق قوياً في شرايينها.

قال بصوت أجش: «ويلو».

ضربتها المياه فجأة، فاستيقظت من غفوة سعادتها لتدرك أنه كان يجرّها رافعاً إياها بيده... فتحت عينيها فرأت وجهه المضاء بنور القمر. إنها تراه بوضوح الآن وأعصابها ترتجف مما تراه. كانت تشعر في أعماقها بتوتر من نوع آخر. إنه إلحاح المشاعر المعذّبة التي تجهّم وجهه.

رفعها إلى حافة البركة ثم جلس قربها والماء يتقطر من جسده ولكنها وقفت باضطراب وقد اجتاحها خوف من الرجل الماثل أمامها الناظر بعينين واسعتين إلى وجهها الشاحب تحت ضوء القمر. كانت أنفاسه مسموعة، وكانا في صراع صامت في مواجهة عمرها، عمر الحياة نفسها التي لا تصفها الكلمات. بدا كال وقد تحرّر من اضطرابه المؤقت.. إذ دنا منها خطوة أما هي فتراجعت تهرب إلى الداخل ولكنها سمعت وقع خطواته خلفها. كانا حافيين فراحا

يركضان فوق ممر الحديقة حيث الأشجار تتحرك كأنفاس بطيئة كأنها تنفرج على مشهد مذهل. وسمعت ويلو أنفاس كال قريبة منها ثم اقتربت الأنفاس أكثر فأكثر.

شهق كال من خلفها عندما كادت تقع على الدرج المفتوح:

ـ احذري!

جعلها صوته غير البعيد تزيد من سرعتها. ولكنه لحق بها ووصل إلى فسحة الدرج قبل أن تصل إلى باب غرفتها وهناك أطبقت ذراعاه حولها كسياج حديدي تشدان جسمها إليه. قاومت، رفست ولوّحت بيديها، وكأنها تقاوم من أجل أن تعيش. ثم راحت تتأوه عندما شعر بأنفاسه على عنقها.

ـ لا.. كال.. لا..

همس في أذنها: «أحبك».

ـ لا!

رفضت أن تصدق، بل الكذبة جعلتها تستشيط غضباً، فالتوت واضطربت بين جدران ذراعيه. ولكن توقها إلى أن تصدق قوله راح يدفعها إلى العنف أكثر فأكثر. لن تعلق هكذا... لن تقع في الفخ ثانية ولن تُخدع!

رفعها كال فجأة على غير توقع فلم تستطع تجنّب حركته. ثم حملها إلى غرفتها ووضعها على السرير يحيط وجهها الثائر بين يديه ليثبتها في مكانها.

ـ انظري إليّ!

أغمضت عينيها تزم فمها بخط مرير مقاوم.. أتت أصابعه دافئة على وجهها المبلل عندما قال لها ببطء:

ـ أحبك... لم أتوقع ذلك لكنني أحببتك. كنت ضعيفاً دون شك أمام القطط الشرسة ذات العيون الحزينة التي تجعلني أشعر

بالوهن ويلو. وهن داخلي يدفع إلى نفسي رغبة توصيني بالعناية بك لأجعلك تبتسمين طوال الوقت عوضاً عن الابتسام حين تنسين أن تعبسي.

تظاهرت بأنها لا تسمع شيئاً وتركت عينيها مغمضتين وفمها مقفلاً لا يلين.. فأكمل بصوت أجش:

ـ أنت لا تصدقينني ولكنني سأجعلك تصدقين.

كانت تعلم أنها لن تصدقه، فأمثاله لا يقعون في حب مثيلاتها من الفتيات. إنهم يميلون إلى الجذابات المثيرات من ذوات الشعر الأشقر أو الأحمر أو من ذوات الجسد الرائع كجسد بيتا وايد. عندما تذكرت المرأة الأخرى فتحت عينيها تنظر إليه ببرود تقول والألم ظاهر في صوتها:

ـ عد إلى بيتا وايد..

ـ حبيبتي، لا داعي للغيرة منها أو من أي امرأة أخرى.

ـ أغار؟ أنا لا أغار من أي كان... أغار عليك؟ أنا أحترم نفسي أكثر من ذلك! وصلت إلى هنا تريد أن تنتزع المعلومات مني لتستخدمها في إيذاء أبي... أنت محتال كذاب.

تنهد: «أيجب أن نتحدث عن هذا؟»

التقت عيونهما ثم تنهد ثانية:

ـ حسناً.. سنتحدث عن هذا الآن.. لكنني أستطيع التفكير في موضوع أكثر بهجة للنفس. أنت على حق طبعاً لأنني كنت أريد استغلالك. كنت غاضباً من آدم، وقررت أنه حان الوقت ليكتب عنه أحد الحقيقة. كانت مقالات الشائعات تخوض في حياته الخاصة ولا يبدو أنها تتساءل عما يفعله بالنساء اللواتي يتركهن.

استلقت ويلو تحدق بمرارة إلى السقف قائلة ببرود:

ـ بيتا وايد... مثلاً.

ـ أجل.. لكن لا علاقة للأمر باقتناصها مني إذ سرعان ما تغلبت على ذلك. لقد كنت محقة عندما قلت لو كانت تحبني لما تركتني لأجل آدم. ولو كنت أحبها حقاً، لما استطعت التغلب على أزمتي بسرعة... لم نكن قط على انسجام. لا أنكر أنني تمتعت برفقتها فهي جذّابة للغاية إنما كان ينقصها شيء ما ليتمّ جاذبيتها وهذا الشيء لم يكن يملكه أي منا. أما ما جعلني غاضباً فهو اكتشافي أن آدم تركها بعد انتهاء المسرحية... بدا لي تركه لها قاسياً، متعمداً وكان قد فعل ذلك من قبل مراراً. وبدأ الناس يخبرونني عن الأخريات.. ظنوا أنهم بقولهم ذاك يخففون عني.

تنهد ثم أردف:

ـ ربما لو لم أشرع بكتابة هذه السيرة اللعينة عنه لما أصغيت إلى أحد، ولأدركت أن تصرفاته آنية سرعان ما ينسى عنها كل شيء، ولكن، طلب إلي أن أكتب قصة حياته، ودفعني غضبي إلى التفكير في كتابة الجزء غير المعقول من الحقيقة عنه.

ـ لو كنت غير مهتم ببيتا لما غضبت هكذا.

استند كال إلى مرفقه ونظر إلى وجهها:

ـ حبيبتي.. إنما كنت مهتماً بغروري وكبريائي. لقد انتزع آدم مني لعبتي فأردت أن أرد له الضربة.

ضحك لها ثم أضاف:

ـ وهذه هي الحقيقة المقيتة عني. فقدت أعصابي.. لم يؤذيني أو يؤلمني ولكنه أزعجني.

صدقته ويلو، لكنها لم تحس بالراحة. إذن هذا هو رأيه بالنساء! إنهن لعبة الرجال يتخاصمون عليهن وهذا ما يفعله آدم فبعدما يضجر من لعبته يبعدها عن حظيرة لعبه ويرفع الصوت مطالباً بأخرى جديدة..

سألته متباعدة عنه:

ـ أتعلم بيتا أنها كانت لعبتك الجديدة؟ هذا ما قد يفسر سبب انتقالها إلى آدم بكل سرور! ولا أدري ما إذا كان عليّ لومها.

ـ سبق أن قلت لك إننا لم نكن على انسجام.

ـ وهذا ما يسوي الأمور.. أليس كذلك؟ وتعتقد أن عليّ رمي سلاحي فوراً.

أكمل محاولاً تقبيلها: «خبيثة!»

أبعدت رأسها جانباً..

ـ وكيف عرفت أنني هنا؟ أخبرتك بيتا؟

ـ أجل قابلتها في حفلة قبل ليلتين من مجيئي إلى هنا... كانت مبتهجة ظاهرياً ولكن عدة نساء خرجن عن أدبهن ورحن يطلقن فكاهات كريهة على حسابها فلم يعجبها ذلك.

ـ ومن يعجبه؟

إنها تعرف ذاك النوع من النساء اللواتي يطلق فكاهات كتلك الفكاهات، ولطالما عانت منهن هي نفسها.

ـ في البدء لم أسألها عن آدم. حاولت الابتعاد عن الموضوع، لكنها ذكرت أنها أقامت في ڤيلا آدم في إيطاليا وقالت إن عليها أن تتذكر أن تعطيه المفتاح لأنه عندما رآها آخر مرة قال إن ابنته ستكون هناك مدة أسبوعين وعندها خطرت لي الفكرة فقد تذكرت أن آدم أذن لي يوماً باستخدامها متى شئت وهو في ما يتعلق بهذه الأشياء في غاية الكرم.

ـ إنها ليست ڤيلته.

ـ لم أكن أعرف ذلك.. وطلبت من بيتا أن تعطيني المفتاح بحجة أن أحمله إليه طالباً منه استخدام المكان للقيام ببعض الأبحاث الخاصة عن كتابه، وكانت تعلم أنني أؤلف له فلم تتكهن ما يدور في

خلدي.

نظرت إليه بمرارة:

ـ هل تتوقع مني أن أصدق هذا؟

ـ ولماذا جاءت برأيك؟ اتصل بها آدم مذعوراً طالباً منها التدخل لإقناعي بعدم استخدام أية معلومات تضرّ به، وفي الحقيقة لم تكن شريكتي في المؤامرة خاصة وهي متسامحة مع آدم الآن. وأظن أن قطع العلاقة كان قراراً مشتركاً فهي لا تحمل له ضغينة بل أستطيع القول أنها لا زالت مغرمة به، ولا أفهم ما يملكه هذا الرجل حتى تسامحه النسوة على كل شيء.

رنت إليه بطرف عينيها:

ـ لديه الفتنة!

فكرت أنه ليس الوحيد الذي يملك الفتنة فلكال فتنة أيضاً يستخدمها دونما شفقة، وعنده ميزات كثيرة مشتركة مع والدها وليست هي المرة الأولى التي تدرك فيها هذا... لكن بُعد نظرها لم ينقذها من الوقوع في الحماقة. كان يجب أن تستدعي الشرطة وتحبس نفسها داخل الڤيلا بسياج كله أشواك، للبقاء بعيداً عن كال بأية وسيلة وعندئذ كان يمكنها البقاء آمنة.

قال كال بخشونة:

ـ أجل... أخبرتني بيتا القليل عنك ولكن ما أطلعتني عليه كان كافياً لأعرف ما تكنينه من مشاعر لأبيك لذا أملت أن أستشف منك معلومات سرية كثيرة.

ـ توقعت مني إذن أن أكون متعاونة وشريكة في المؤامرة.

تساءلت في نفسها عما إذا كانت ترغب حقاً في أن تكون آمنة. يكون الأمان أحياناً أشد خطراً من الخطر نفسه.. ولكن ما طعم الحياة إذا عشت ضمن سور آمن لا يصل إليك منه الحب أبداً؟

ـ لم أتوقع أن أواجه معركة ولم تكوني ما تصورت أن تكوني عليه. بدا لي أنك تحبين والدك وتكرهينه بجنون ولكنني اضطررت إلى انتزاع المعلومات منك انتزاعاً لأنك كنت كثيرة الشك، متوترة وخائفة من حقيقة مشاعرك تجاه آدم.

ـ ليس من السهل أن أكون ابنته... فالجميع على سبيل المثال ينظر إليّ وكأنني لست ابنته: إنه رائع الجمال، أما أنا فقبيحة!

انحنى فوقها يلمس خدها بيد رقيقة: «لست قبيحة».

تجنبت ويلو عينيه لأن حرارتها ارتفعت:

ـ لا تكذب عليّ.. أعرف ما أرى حين أنظر إلى المرآة.. أنا نحيلة وبشعة.

ـ دعك من المرآة.. انظري إلى عيني، تري ما أرى.

أشاحت بوجهها عنه وقالت متحدية:

ـ لا..

لن تجعله يسيطر عليها لتصدق أكاذيبه.. تابعت أصابعه رحلتها على وجهها المتوتر، وكأنه أعمى يحاول استكشاف هذا الوجه باللمس. راحت أطراف أصابعه تتلمس جبهتها، أنفها، عينيها، خديها وفكها الصغير، حتى ارتجفت. وأكمل:

ـ تلك الليلة التي عدنا فيها من ڤيلا ميديتشي ووجدتك غافية. أردت أن أدفعك إلى الكلام عازماً على أن أفك عقدة لسانك.. ولكن عوضاً عن ذلك غرقت في النوم ورحت أرغب فيك. لقد تصارعت كثيراً مع ضميري قبل أن أخرج من هذه الغرفة.. حين عانقتك، وجدت أنني أمسك بقطة برّية.. ولم أكن أعتقد أنك مشبوبة العاطفة هكذا.

احتجت بخجل: «توقف عن هذا».

ضحك بخشونة:

ـ لماذا لا تعترف؟ لقد اخترقت كياني تلك الليلة.. ومنذ ذلك الوقت وأنا أنتظر الفرصة لأكرر ما جرى.

ـ لن تفعل بي هذا! لست متوفرة لك! لم أرث ذوق أبي في التقلب من شخص إلى آخر كما لم أرث جماله.

ـ يروعني ما أسمع. هل لنا أن ننسى أمر آدم؟

ـ وكيف ننسى أمره وأنت ما زلت تكتب قصته؟ سأكون حمقاء لو وثقت بك بعد أن سمعت ما قلت منذ قليل. أتتوقع أن أثق بك؟

ـ كنت أفكر جاهداً في هذا منذ طردتني من هنا.. ولقد غيرت رأيي.. لن أستخدم كلمة مما التقطته منك أو من والدتك. قررت أن أكتب القصة كما يريدها آدم، وليكتشف من سيكتب القصة بعدي الحقيقة. سيكون الجزء الأكبر عن حياته العملية والجزء الأقل عن حياته الخاصة.

حدقت إليه وهي لا تصدق ما تسمع:

ـ لماذا؟ ما الذي غيّر رأيك؟

ـ أنت.. لو كتبت ما أردت كتابته، لخسرت أية فرصة معك أليس كذلك؟

ابتسم لها مراقباً الاحمرار وهو يزداد غزواً لوجهها.

ـ عطشي للانتقام مات طبيعياً منذ ثلاثة أيام.. أنت أهم عندي من حربي ضده.. كنت أحبه كثيراً حتى سلبني بيتا.. لكنك محقة، إنه فاتن، اللعنة عليه؛ ولكن الأهم أنه والدك. ظننت نفسي حاذقاً في مجيئي إلى هنا، ولم أتوقع أن تتغير حياتي كلها.

أخفضت ويلو نظرها وراحت حنجرتها تعزف نغمات مثيرة.. ما تزال تخشى أن تثق به ولكن ماذا لو كان صادقاً؟ وماذا سيحدث إن رفضت عواطف حقيقية بسبب خوفها من الزيف؟

نظرت إليه من بين أهدابها خائفة من جماله القاسي.. أيمكن أن

ينجذب حقاً إلى فتاة عادية مثلها؟ سألته فجأة:

ـ كيف عرفت أنني سأكون الليلة وحدي هنا؟

التوى فمه بابتسامة خفية:

ـ أخبرني أنطوان الذي كان يطلعني على تحركاتك.

حاولت البقاء غاضبة:

ـ أكنت تتجسس عليّ؟

ـ بل كانت حاجتي إلى سماع أخبارك تدفعني إلى ذلك. أحبك.

كلما كرّر هذه العبارة كلما بدت لها أشد احتمالاً. راحت تحب سماع الكلمة أكثر فأكثر، وإن قالها في كل دقيقة في الساعة وفي كل ساعة في اليوم مثل الكوكو الذي في ساعة المطبخ وذلك مدة مئة سنة فقد تصدقه.

نظرت إلى عينيه الفضيتين فوجدت فيهما انعكاسها الذي وعدها به، فارتجف جسدها لما أظهرته لها نظرته... لم تشاهد نفسها بقدر ما شاهدت الرغبة فيهما، وهذا أكثر من كافٍ ليتلاعب برأسها ويضعف دفاعاتها. لاحظ ضعفها هذا فتكور فمه حناناً، وتحركت يده على وجهها فأغمضت عينيها ورفعت رأسها.

لن تخبره عما تشعر به على الأقل ليس الآن. إنها بحاجة إلى أن يقنعها أكثر قبل أن تبوح حقاً بمشاعرها.

تأوه كال بضعف:

ـ آه ويلو...

لم تتوقع هذا منه وبدأت للمرة الأولى ترى الحقيقة... حقيقة ما يعنيه كل منهما الآخر. أطبقت ذراعاه حولها فشعرت بجسده يرتجف، وعندها فقط لم تعد خائفة من الحب أو من العطاء. وها

هي تقبل عطاء كال بدون أية شكوك. بعد دقائق ستبوح له بحبها. وكان هذا آخر ما فكر فيه عقلها الواعي.. ثم توقفت عن التفكير.. ولم يعد هناك حاجة للكلام.

* * *

liilas
rayqh

liilas.com
rayqh

مجلة روايات أحلام

الأبيض والأسود

ويلو ابنة ممثل مشهور تحلم به النساء ولهذا تعرف جيداً أي نوع من الرجال هو كالمر ديكستر: رجل ساحر يقتنص قلوب النساء ويوقع بهن ثم يدير ظهره دون كلمة وداع. ولأنها تكره هذا النوع، أصبح كالمر عدواً لها منذ اللقاء الأول.

لكن كالمر الكاتب المسرحي كان صياداً من نوع آخر، ولم تدرك ويلو ماذا يريد منها إلا بعد أن تسلل من خلف دفاعاتها ليزيح الستار عن الفتاة الهشة الظمأى للحب التي تختبىء وراء مظهرها العدواني.

ما اكتشفته عنه كان كافياً بالنسبة لها كي تخرجه من حياتها إلى الأبد، ولكن قلبها رفض أن يعترف بالوقائع، وظل يدق في الاتجاه المعاكس...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١.٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق